ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1049 - الجمعة 9 ذو القعدة 1424 هـ - الموافق 2 يناير 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

دلالة المعجزة

الإنسانية تعاني من العنف

في كل يوم وأسبوع وشهر وسنة تطالعنا وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمنظورة ببعض ما يعاني منه الإنسان المستضعف من قوى الشر والطغيان بدون أن يكون وازع للقوي يتحكم فيه حتى لا يبقى الإنسان من حيث هو يعبث بحريته ونفسه وماله وحقوقه الإنسانية... ومما يبعث على التعجب والاستغراب من كون الفاعل لانتهاك حقوق الآخرين يتبجح وبدون حياء ولا وجل باستنكار عمل هو نفسه فاعله وكأنه يخاطب جمادا أو حيوانا أو وحشا أو كائنا لا يميز.

فكيف نرفع عن الإنسانية المستضعفة ما تعانيه من العنف الذي يستهدف أرواحها ومالها وبلادها وقيمها ومعتقداتها لا دواء أنجع لداء هذه الهجمة الشرسة من القوي على الضعيف إلا بالرجوع إلى العدل والمشروعية حقا وصدقا ونشرهما بين فصائل البشرية بصفة عامة كي يقتنع القوي أن للمستضعف حقوقا وواجبات على أن ترعى ولا تنتهك حرماتها.

أيها الإنسان القوي باقتصادك وعلمك وثقافتك وتقدمك التكنولوجي لا تقطع الطريق على فصيلتك الإنسانية وتعمل كل ما في وسعك لتبقى تلك الفصيلة آلة مسخرة مستضعفة مسلوبة من كل حقوقها وهذا لا يقره شرع ولا تقبله عدالة. يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون".

أيها الإنسان القوي جنب الإنسان الضعيف من الظلم الذي استفحل وعم جميع المستضعفين...

نرجو أن تطالعنا الأيام والأسابيع والشهور والسنوات القادمة باحترام الإنسان لأخيه الإنسان فكفى من الجور على الشعوب المستضعفة ومحاولة تعمية الحقيقة عن ساكنة الكرة الأرضية.

إن البشرية في حاجة ماسة إلى من يأخذ بيدها لنشر العدل والسلام ومصلحتها العامة.

ولاشك أن قادتها عن الإنسانية وعلمائها وحكمائها وزعمائها وأهل النظر البعيد منها والغيورين على الصالح العام من يعمل جادا للدفاع عن حقوق الإنسان شكلا وجوهرا، ولهذا العمل الإنساني الذي يخدم مصلحة الإنسانية، بصفة عامة، على مختلف عقائدها يدعو أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين وأن يحفظه في ولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن ويشد أزره بشقيقه صاحب السمو مولاي رشيد وكافة أفراد الأسرة الملكية.. فلنعمل يدا في يد بقلوب صافية لصالح الكل، قال صلى الله عليه وسلم أو كما قال: "الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله..." وفقنا الله لما يرضيه وأعاننا عليه في كل وقت وحين وكل يوم وأسبوع وشهر وعام وأنتم بخير.

أيها الإنسان القوي باقتصادك وعلمك وثقافتك وتقدمك التكنولوجي لا تقطع الطريق على فصيلتك الإنسانية وتعمل كل ما في وسعك لتبقى تلك الفصيلة آلة مسخرة مستضعفة مسلوبة من كل حقوقها وهذا لا يقره شرع ولا تقبله عدالة

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للامين العام لرابطة علماء المغرب

الحسد
توازن العمل بين الدين والدنيا
علم التوقيت
السلب والإيجاب في ظاهرة الاختصار عند المالكية

العدل والعدالة في التوجيه الديني
متابعة العدل في الأسرة

في الأعداد الماضية من هذه الصحيفة حاولنا الدخول إلى ساحة العدل والعدالة بمعرفة المفهوم اللغوي والشرعي للكلمة وانطلقنا من تصور العدل الأسري من نتائج المخالفة الأولى للإنسان الأول (نعصى آدم ربه فغوى) ورأينا جريمة القتل الأولى في الحياة البشرية فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين الآية:٣٠ من سورة المائدة، فكانت المخالفة الأولى في الأرض لقوانين العدل والعدالة. وجاءت من أخ ضد شقيقه، فانفتح باب العدوان والظلم والطغيان، فوق أرض الإنسان، وشرع الله في بعث الرسل والأنبياء أحيانا فرادى وأحيانا جماعات لاستمرار ارتباط الإنسان بالله الذي خلقه فسواه فعدله في أي صورة ماشاء ركبه وبسط له الرزق في الأرض وهيأ له كل أسباب الحياة في أمن واستقرار وهدوء وسكينة وحدد الالتزامات والحقوق البشرية لكل واحد من موقعه الذي اختاره الله له، وجعل الإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالحق والتواصي بالصبر منهج النجاة والسلامة من الآفات.

وندخل لبيت الأسرة لنرى مدى الالتزام بتلك الأحكام.

عندما يريد الإنسان بناء الأسرة ينطلق من البحث عن ذات الدين التي تؤمن له مسيرة الحياة وتضمن له الاستمرار وتحافظ على طهارة القلب والفؤاد ونشر الرحمة والمودة التي جعلها الله عينا تسقي أرض الأسرة، فتنطلق مخضرة توتي ثمارها حينا بعد حين بإذن ربها.

العدل في الأسرة ينطلق من التعامل بين الزوج والزوجة، وإذا كان الزوج يتحمل التزامات مادية أكثر فإن الزوجة تتحمل التزامات معنوية وخلقية وتربوية وإعدادية أكثر من الزوج، وهذه الحقيقة لاتدرك بسهولة للرجل إلا إذا أدمجت في التربية البيتية، والجزاء على ذلك يسجله الحديث النبوي الشريف "لايكرمهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم".

وإذا فتحنا تحقيقا أسريا داخل البيت الإسلامي فنجد أنه كلما كانت التربية الدينية والسلوك الخلقي منشورا في أركان البيت كانت قواعد العدل والرحمة والعطف والحنان والتجاوب والتعاون على البر والتقوى هي العلامات التي تنطلق في سماء الأسرة مبشرة بأعلام العدل ناشرة ألوية فوق الرؤوس، تظلل من كان لباسه الإيمان والتقوى.

إن هذا المنهج الأخلاقي إذا توفر من شأنه أن يؤمن الكثير من الأخطار التي تحدث داخل الأسرة، ويجعل المسيرة الأسرية في الحياة الإنسانية خالية من الكثير من السلبيات التي تأتي بها السحب القادمة من العالم الآخر، عالم الجهل وانعدام التربية، عالم الرذيلة والسقوط الأخلاقي.

لكن عندما تدخل ثقافة العدل إلى البيت، منطلقة من الزوج أولا ومن الزوجة ثانيا ومن الآباء والأبناء ومن سائر البشر الذين يجتمعون تحت سقف واحد، تتغير أنماط الحياة وتسود السكينة وتعم أجواء الرحمة والمودة والعطف والحنان، وينتشر الدفء في العلاقات الأسرية، وتنعكس الصورة على الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يتحدث عن لقائه بالشيخ ابن دقيق العيد

■ لم يكن لقاء الرحالة القاسم بن يوسف التجيبي بالشيوخ الذين يبحث عنهم لقاء عابرا ينتمي بعد جلسة أو جلستين، بل كان لقاء علميا متأنيا يتيح للتجيبي أن يسمع ويسجل ويدون، ويسأل ويناقش، بل يقابل بين نسخته التي يمسك بها، وبين نسخة الشيخ، ويأخذ الحديث الواحد بأسانيد الشيخ الخاصة، التي أخذها عن شيوخه الذين التقى بهم في جهات مختلفة، ويذكر الشيخ سلسلة الرواة في كل سند، للحديث الواحد، وكان الشيخ ابن دقيق العيد الراوي، يروي أسانيده له وللجالسين معه، ويسمي شيوخه، وشيوخ شيوخه إلى منتهى السند، ويذكر الرواة بألقابهم، وكناهم ليكون الراوي عنه على بصيرة ومعرفة برواة الحديث موضوع الدرس، ويذكر الشيخ في كثير من الأحيان الزمان والمكان، وظروف الأخذ عن الشيخ، زيادة في التوثيق، وتسهيلا على من يريد أن يقارن بين طرق الحديث، وبين السند العالي والنازل، ونرى التجيبي يعتز بالأسانيد العالية، كبلدية ابن رشيد، وقد سبقت الاشارة إلى ذلك، فالتجيبي أخذ عن ابن دقيق العيد حديث البراء بن عازب رضي الله عنه : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أخذ مضجعه يقول: اللهم إليك أسلمت نفسي، وإليك وجهت وجهي، وإليك فوضت امري، وإليك ألجأت ظهري، رغبة ورهبة، لاملجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك أو نبيك الذي ارسلت، فإن مات، مات على الفطرة"الحديث.

هذا الحديث رواه الشيخ بن دقيق العيد عن شيوخه بعدة أسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكلها تلتقي عند الصحابي الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه، وبطبيعة الحال هذه الأسانيد تختلف من حيث عدد الرواة، وكلما قل عدد الرواة بين الشيخ وبين مصدر الحديث، يزداد سند الحديث علوا، والبحث عن السند العالي كان من أهداف الرحالة المغاربة المحدثين كابن رشيد والتجيبي وغيرهما من المهتمين بالحديث النبوي الشريف.

ونجد في هذه الأسانيد التي ذكر الشيخ لطلابه بعض الشيخات العالمات ومنهن:

قوله: وأخبرتنا الشيخة الصالحة المسنة الحسيبة أم أحمد بنت الشيخ الفقيه الخطيب مجد الدين عيسى ابن الشيخ الفقيه الإمام العالم موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة قراءة عليها وأنا أسمع، قال: أخبرنا ابو زرعة، أخبرنا محمد ابن أحمد، أخبرنا أبو بكر الحيري، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا زكرياء، حدثنا ابن عيينة، عن أبي إسحاق، سمع البراء بن عازب يقول: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا أخذ مضجعه، اللهم إليك أسلمت نفسي، وإليك ألجات ظهري، رغبة ورهبة، لاملجأ ، ولامنجا إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ورسولك أو نبيك الذي أرسلت، فان مات مات على الفطرة" وفي بعض روايات هذا

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحديث: "وإن عاش أصاب خيرا".

وهذا هو السند السادس لهذا الحديث الذي أورده الشيخ ابن دقيق العيد، ويقول بعد ذلك: هذا حديث صحيح، عال عشاري الاسناد، متفق على صحته، وثبوته من حديث أبي عمارة.... إلى أن يقول: أخرجه الأئمة الأربعة البخاري ومسلم، في صحيحيهما من حديث شعبه وأبي الأحوص عنه، والترمذي في جامعه والنسائي في سننه، رواه الترمذي في الدعوات عن محمد ابن يحيى ابن أبي عمر العدني، ورواه النسائي في اليوم والليلة، عن محمد بن عبيد الله بن يزيد بن إبراهيم عن أبيه عن عثمان بن عمرو.

وأقول: الحديث أخرجه الامام مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، (باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع) وأخرجه البخاري في كتاب الدعوات (باب مايقول إذا نام) وفي : (باب إذا بات ظاهرا)وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا أخذ مضجعه، وتحدث ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن سند هذا الحديث، وعن متنه في الباب الذي قبله، وعقد تنبيهات مفيدة.

وبعد ماسجل التجيبي ماسمعه من الشيخ، عن طرق الحديث السالف الذكر عن أبي إسحاق، عن البراء ابن عازب، يسجل ماسمعه من الشيخ عن حديث آخر رواه: أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل يارسول الله، متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ فلم يذكر كبيرا إلا أنه يحب الله ورسوله، قال: فأنت مع من أحببت".

وبعدما عدد طرقه قال هو حديث صحيح عالي الإسناد عشاريه ثابت من حديث أبي حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه الإمام مسلم بن الحجاج في أواخر كتاب الصحيح، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب ... وابن نمير، وابن أبي عمر، جميعا عن سفيان بن عيينه، فوقع لنا بدلا عاليا. ورواه مسلم أيضا عن ابن رافع، وعبد الرزاق عن معمر عن الزهري..

وفي رواية لمسلم قال أنس: مافرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنك مع من أحببت" قال أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو ان أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم...

وأخرج مسلم هذا الحديث بعدة روايات في كتاب البر والصلة والآداب، (باب المرء مع من أحب).

وأخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه في كتاب الأدب، (باب علامة حب الله).

فرحالتنا التجيبي رحمه الله، من رجال الحديث، ومن المتضلعين فيه، له اطلاع واسع بكتبه ومصنفاته، وفي رحلته هذه يريد أن يحصل على روايات أخرى، من شيوخ آخرين، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الدراسة الحديثية بالمغرب في القرن السابع الهجري كانت دراسة متينة، لها شيوخها، وحفاظها، وجدارتها، وكان البعض من علماء الحديث المغاربة يغتنمون فرصة الرحلة إلى الحج للتوسع في معرفة طرق بعض الأحاديث وأسانيدها، حرصا منهم على التحقيق، والتدقيق والتمحيص...

وهذا مما جعل الشيخ أحمد بابا السوداني التمبوكتي يقول عن التجيبي في كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج: "التجيبي أبو القاسم السبتي صاحب الرحلة المشهورة، وكان عالما بارعا، محدثا حافظا متقنا عارفا بالحديث، قيما على أنواعه ضابطا ثقة... رحل إلى الأندلس ثم للشرق، ولقي جلة من العلماء الأكابر، وأخذ عنهم فمن شيوخه أبو بكر بن عبيدة، وأبو القاسم ابن الشاط، وأبو القاسم القبتوري، وابن دقيق العيد... ذكرهم في رحلته، وهي كتاب نفيس..."

ومعناه أن المدرسة الحديثية بالمغرب تخرج فيها نبغاء، وحفاظ، وعلماء متقنون، ضابطون ثقة، اعترف لهم الشيوخ الكبار بالحفظ والبراعة والاتقان.

(يتبع)

(تتمة ص:1)

الخلافات بين الزوجين حول الشؤون البيتية تحدث في جميع الأماكن وفي جميع المجتمعات، ولكن العلاج يخفض درجة الحرارة في الخطاب، واستعمال العقل ونقل الملف إلى من هو أعلى شأنا في علاج الحالات المستعصية.

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد امرأة لم يعدل معها زوجها فرفعت أمرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل القران مشرعا الحلول لمثل تلك الحالة وجعل الزوج يؤدي الثمن، القصة شرفت المرأة ورفعت شأنها فبسبب شكايتها بزوجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة المجادلة وهي السورة رقم 58 في المصحف يقول الله تعالى:" قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما، إن الله سميع بصير" ويعطي القران الحكم الشرعي للنازلة في الخلاف الزوجي "الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم، إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهن وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا".

وللتعريف بالأطراف نجد أن الملف يتعلق بالسيدة خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت تخاصما على امر بسيط، وانعدمت في رؤية الزوج أنوار العدل، فأسرع إلى إصدار حكم لفظي "انت علي كظهر أمي" وكان تنفيذ هذا الحكم يقضي بقاء الزوجة في البيت فاقدة لأصح أواصر العلاقة الزوجية، فلا هي مطلقة ولا هي زوجة، وتقول السيدة خولة، فخرجت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت من الزوج من سوء الخلق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ياخويلة، إبن عمك (زوجها) شيخ كبير فاتق الله فيه" قالت: فوالله مابرحت حتى نزل في قرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه حين نزول الوحي، ولما سرى عنه قال لي: "ياخويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرءانا ثم قرأ علي صدر سورة المجادلة" محرمة ماصدر عن الزوج من موقف وحكم وملزمة إياه بعقوبة مادية كفارة عما صدر منه: عتق رقبة فإن لم تكن له، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع لعجزه أو شيخوخته أو مرضه فإطعام ستين مسكينا وسقا من تمر وتقول سيدتنا عائشة رضي الله عنها "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت فاسمع ماتقول، فأنزل الله "قد سمع الله" الآية، القصة روى جزء منها الإمام البخاري وجزء آخر أحمد وأبو داود، وهكذا أنزل تشريع إلاهي بسبب شكاية امرأة بزوجها تقديرا لمكانة المرأة في الحياة الاجتماعية الإسلامية.

وروي أن المرأة المذكورة لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وتحدثت بما أرادت وانصرف، فقال رجل لعمر بن الخطاب يأمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال عمر: ويحك أو تدري من هذه؟ قال: لا ، قال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر الصلاة، فاصليها ثم أرجع إليها حتى ننتهي.

إنها حادثة تضع العدالة الإسلامية مشرقة أنوارها في طريق المومنين والمومنات وتعتبر شأن المرأة شأنا هاما، قد يكون مبررا لتدخل الدين للفصل في أمر تظلم المرأة وإعطائها ماتستحق من اهتمام عند فقد العدل معها من الزوج، وقد أطلنا الحديث فيها عندما أوقفنا السؤال التالي من هي المرأة التي سمع الله قولها وهي تجادل في زوجها وقضى لها بما يجب في حكم عام فجاءت أسبا ب النزول موضحة لجوانب القضية وإلى متابعة الموضوع إن شاء الله في عدد قادم.

الوثاق

دلالة المعجزة

للعلامة سيدي احمد بن امبارك

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

سئل شيخنا العلامة الفهامة ابو العباس سيدي احمد بن امبارك سقى الله ثراه شآبيب الرحمات بما نصه:
سيدي رضي الله عنكم، نريد منكم ان تجيبوا عن دلالة المعجزة هل الراجح فيها انها عادية او عقلية؟، وكيفية دلالتها وادلة ذلك،؟
ولكم الأجر التام والجواب العام والسلام.
فاجاب رحمه الله بما نصه بعد الحمد والصلاة على النبي(ﷺ) الجواب وبالله التوفيق.

■ ان الدلالة كما لا يخفى على كريم علمك نسبة بين دال ومدلول، وهذه النسبة تارة يقضي بها العقل، وتارة يقضي بها غيره من عادة ووضع، وإن الأول مقاله دلالة التغير على الحدوث وأن الثاني مقاله دلالة النبات على المطر، ومس النار على الاحراق، وعكسها، والحمرة على الخجل، والصراخ الضروري على مصيبة نزلت بالصارخ، وما أشبه ذلك، وأن الثالث مثاله دلالة الرجل على الذكر، والإشارة بالرأس على معنى نعم أو ضده.

❖❖❖

وإذا تحقق الفرق بين هذه الأقسام الثلاثة اتضحت الأقوال التي في دلالة المعجزة، وظهر ما هو أحق منها من غيره، وقد علمت أن الدلالة نسبة، والنسبة ربط بين منتسبين، وهذا الربط إن كان مجرد جعل لم يرتق إلى درجة السببية والمسببية، فالدلالة وضعية وعلامتها الاختيار، وإمكان تخلف المدلول من جهة أن للمستعمل أن ينقل الدال إلى غير معناه.

❖❖❖

والحاصل أن الدال بهذه الدلالة، ليست فيه إشارة إلى معناه لولا الجعل إذ لا سببية بينهما ولا مناسبة، وإن ارتقى الربط إلى درجة السببية والمسببية، فلا يخلو إما أن تكون السببية عادية، فالدلالة عادية كدلالة النبات على المطر، فهذا من دلالة المسبب على سببه، فالنبات من جهة المسببية التي فيه تجده يشير إلى المطر من جهة توقفه عليه، كإشارة الإبن إلى الأب، فالدلالة فيه ليست باختيارية، فليست بوضعية.

❖❖❖

أما انها ليست باختيارية فإن الإختيارية هي التي تتوقف على جعل الدال دالا ولا يجعل الدال دالا إلا حيث يجوز عليه خلافه، مثل أن يقبل الدلالة على هذا وعلى غيره، والنبات بخلاف ذلك فإنه لا يقبل الا الدلالة على المطر، فدلالته عليه موجودة مع القطع بانتفاءالجعل، فلا توقف على جعل، بل لا يصح فيها أصلا، لأنه إن كان على نحو ما هي عليه في العادة، فهو تحصيل الحاصل، وإن كان بخلاف ذلك بحيث يجعل النبات لا يدل على المطر كان كاذبا حيث قطعت السببية بينهما مع وجودها، ففيه قلب للحقيقة العادية، وأما أنها ليست بوضعية فلأن الوضعية اختيارية وهذه ليست باختيارية، ثم هي مع كونها ليست اختيارية يجوز تخلفها عقلا على طريق خرق العادة بأن يوجد النبات بلا مطر، وإن كانت السببية عقلية فالدلالة عقلية كدلالة الأثر على مؤثرة، وهذه أيضا من دلالة المسبب على سببه، فالأثر بالمسببية التي فيه يشير إلى مؤثره إشارة عقلية لا اختيار فيها لأحد، ولا يمكن فيها التخلف عقلا فخرج من هذا أن الوضعية العقلية على طرفي النقيض لأن الوضعية اختياره ممكنة التخلف، والعقلية على عكسها فحيث صدقت إحداهما كذبت الأخرى، وأما العادية فلها شبه بالوضعية من جهة إمكان التخلف، وتفارقها من جهة أنها ليست باختيارية كما أنها توافق العقلية في هذا، وتباينها من جهة أنها ليست باختيارية كما انها توافق العقلية في هذا وتباينها من جهة إمكان التخلف، فهي مباينة لها أيضا فحيث صدقت كذبتا وبالعكس، فإن قلت العادية قد تكون اختيارية كما إذا كان الدال جعلا اختياريا كالصراخ المذكور، فإنه اختيار مباين لحركة المرتعش، وإن كانت دلالته مع ذلك ممكنة التخلف، فلم لا تكون وضعية، قلت الصراخ وإن كان اختياريا من حيث الحصول فليس باختياري من حيث الدلالة، فإنه من دلالة المسبب على سببه، فإن الصراخ يتسبب عن نزول المصيبة عادة، فالصراخ المذكور يشير إلى المصيبة من جهة توقفه عليها والدلالة الوضعية لا إشارة فيها، وبه تعلم الفرق بين العادية والوضعية الفعليتين.

❖❖❖

مثال الوضعية الفعلية الإشارة بالرأس الدالة على معنى نعم ونحو ذلك، ومثال العادية الفعلية قولك لشخص إن كنت تحبني فقم لي من مكانك فالقيام فعل، وهز الرأس، فعل، والأول يدل على المحبة دلالة عادية والثاني يدل على معنى نعم دلالة وضعية.

وجه ذلك أن القيام من المكان سبب المحبة، فهو يدل عليها دلالة المسبب على السبب، ويجوز تخلفهما بأن يكون قيامه تكلفا وتصنعا أو حياء كما يجوز التخلف في الدلالة العادية، وأما الهز المذكور فلا يتوقف على معنى نعم كما لا يتوقف معنى نعم عليه، فإن معنى نعم هو ثبوت المجيء لزيد إذا سئل عنه لا يتوقف على هذا الرأس بل هو حاصل قبله كحصول مدلولات الخبر الماضي قبله، وأضيف من هذا أن الهز المذكور قد يدل عادة كما يدل وضعا فإنك إن قلت لمخاطب إن كنت تحبني فهز رأسك إلى قدام فهزه، فهو يدل عادة على المحبة إذ هو سبب عنها، وأضيف منه، وإذن ان القول الواحد قد يدل عادة ووضعا، ولكن من جهتين مختلفتين، فإنك لو قلت لاخر إن كنت تحبني فقل أنا أحبك، وقال ذلك، فهذا القول من حيث وقوعه امتثالا وطاعة يدل عادة على المحبة، إذ هو سبب عنها كدلالة الأفعال السابقة عليها، ويدل وضعا على المحبة كدلالة الألفاظ على معانيها.

❖❖❖

ولكن المحبة التي تفهم منه بالدلالة الأولى آكد من التي تفهم بالثانية للربط الكائن بالأولى دون الثانية، وأيضا فالدلالة الوضعية هاهنا غير منبعث إليها أصلا، إذ المقصود الأهم هو الطاعة والإمتثال، وذلك حاصل ولو بكلام مهمل إذا طلب منه إذا تقرر هذا، فقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في دلالة المعجزة على ثلاثة أقوال أحدهما للقاضي والمحققين أن دلالتها عادية فيكون فيها ربط سببي يجوز تخلفه عقلا غير أنه لا يقدم في العلم الضروري كما لا يقدح ذلك في سائر العلوم العادية الضرورية، وبيان هذا أن انشقاق القمر مثلا فعل وقع إجابة لطلب التصديق، فهو بمثابة أن يقال يا رب إن أردت إظهار صدقي فشق القمر، فسمع تعالى الدعاء وأجابه وشق له القمر، فصار الشق المذكور يدل دلالة عادية على إرادة إظهار الصدق، إذ هو أي الشق المذكور مسبب عن إرادة ما ذكر، فالشق يشير إلى تلك الإرادة بالربط الذي فيه، وبهذا تنتج الدلالة الوضعية إذ لا ربط فيها بين الدال والمدلول، ثم هذا الربط الذي بين الشق المذكور والإرادة المذكورة يجوز تخلفه إذا كان لأمور أخر غير الإرادة المذكورة، وقد ذكر في شرح المقاصد شيئا من تلك الأمور التي يحتملها العقل لا حاجة بنا إلى ذكرها لأنها لما كانت مستحيلة عادة والعلم الضروري بصدق المتحدي حاصل من المعجزة لم نروجها لذكرها في هذه الحروف القليلة.

وبالجملة فهي كسائر العلوم العادية التي يقطع بها من مع جواز تخلف معلومها، فإن العلم بالجبل الفلاني حجر لا ذهب أمر مقطوع به مع جواز كونه ذهبا، فإن الجزم بالنظر إلى الطرف الواقع والجواز بالنظر إلى الطرف الذي لم يقع، فكذلك الشق المذكور يجوز أن يكون لغيرها وهو الطرف الذي لم يقع فكذلك الشق المذكور يجوز أن يكون لغيرها وهو الطرف الذي لم يقع، وهذا المقول هو الذي صححه غير واحد كالإمام في البرهان واليفرني في شرح البرهانية، والبكري في شرح الحاجبية، وهو الحق الذي لا يصح غيره.

❖❖❖

ثانيها:

إن دلالتها وضعية وهو ظاهر ما في الإرشاد وقد قرره المقترح والأمر بالمثال الذي جرت عادتهم بذكره هنا، وهو أنه لو ادعى رجل أنه رسول ملك وطولب بالحجة، فقال حجتي أن يخالف الملك عادته ويقوم عن سريره، ويقعد ثلاثا، ففعل فلاشك أن هذا الفعل من الملك على تصديقه عادية لثبوت الربط العادي بين الفعل المذكور وبين التصديق، والوضعية لا ربط فيها أصلا، والفعل المذكور وقع مسببا عن إرادة إظهار الصدق التي هي معنى التصديق، ومتى وجدت السببية بين الدال والمدلول فالوضعية منتفية ولهذا ذكر البكري واليفرني هذا المثال في بيان كونها عادية وأما قول ياسين أنه يصح تقرير كل من الدلالتين به فليس بصحيح، لما سبق من التنافي بينهما وأنه إذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى، وأما قول من قال إنما كانت وضعية لأن ذلك الفعل منزل منزلة قوله، صدق هذا الرسول، ففيه أن كثيرا من الدلالة العادية الفعلية يتنزل منزلة كثير من الأقوال، وهي عادية بلامرية، كما إذا قلت لأحد إن كنت تحبني فشد لي الركاب، ففعل فهذا الفعل ينزل منزلة قوله أنا أحبك، ولاشك أن شد الركاب لا يدل بالوضع على ذلك، وكذا لو قلت له إن شد الركاب لا يدل بالوضع على ذلك، وكذا لو قلت له إن كنت تطيعني فسافر مسافة أربعة برد لموضع كذا وائتني بحاجة كذا، ففعل، فلاشك أن مشيه هذه المسافة تنزل منزلة قوله أنا أطيعك، ودلالته على الطاعة عادية لا وضعية وبالجملة ينزل منزلة قوله أنا أطيعك ودلالته على الطاعة عادية لا وضعية، وبالجملة فالتعويل إنما هو على ما تقتضيه حقيقة كل واحد من هذه الأقسام على التنزه المذكور فظهر أن القول بالوضعية لا يتم والله تعالى أعلم.

❖❖❖

ثالثها:

إن دلالتها عقلية، وإليه ذهب الأستاذ الأسفراني وبينه بأن الخارق كالشق المذكور فعل حادث من جملة الأفعال الممكنة التي تعتورها المتقابلات الست، ولاشك أن الفعل الممكن إذا وقع في الخارج متصفا ببعض المتقابلات فإنه أي الفعل الممكن إذا وقع في الخارج متصفا ببعض المتقابلات فإنه أي الفعل الممكن يدل دلالة عقلية على أن الله تعالى قد أراد تلك الصفات التي وجد بها مثلا زيدا إذا وجد موصوفا بالبياض وبالطول وبكونه في وقت كذا ومكان كذا فهو يدل على أن الله تعالى قد أراد وجوده وبياضه وطوله ووقته الخاص، ومكانه الخاص، فكذلك الشيء المذكور وجد موصوفا بكونه في القمر ونصفين، وكونه مثلا إلى جهة يمين وشمال، لا إلى فوق وتحت، ونحو ذلك، فهذه صفات الشق التي يدل على إرادتها دلالة عقلية، فجعل الأستاذ التصديق المذكور من جملة هذه الصفات حتى يكون الشق يدل على إرادته عقلا، واورد عليه أن التصديق خبر عن الصدق، والخبر قديم لا تتعلق به الإرادة، فكيف يدل الشق على إرادته عقلا، فإن تعلق الإرادة به مستحيل، وأجيب بأن التصديق على قسمين.

أحدهما قول وهو الذي سبق، وهو الخبر القديم الذي يستحيل تعلق الإرادة به.

وثانيهما فعلي كالتصديق المستفاد من هز الرأس ونحوه، وهذا ليس بكلام أصلا، فضلا عن أن يكون خبرا، فضلا عن أن يكون قديما، ولاشك أن الشق المذكور مثل هز الرأس. فالتصديق المستفاد منه فعلي لا قولي، فيجوز تعلق الإرادة به لكونه أي التصديق صفة لفعل حادث وهو الشق المذكور.

❖❖❖

قلت: فقد جعل التصديق والتكذيب متقابلين، وتحدى الرسول بالشق المذكور مع عجز المنازعين، وإجابة الله تعالى له وتخصيصه بذلك يدل على إرادة التصديق، أي على إرادة وقوع التصديق، وفيه نظر، فإن التحدي وما ذكر معه من العجز والإجابة والتخصيص، قد توجد ولا يوجد التصديق.

ألا ترى أن الدجال لعنة الله يدعي دعاوي كفرية ويتحدى عليها بتلك الخوارق التي أخبر النبي(ﷺ) بوقوعها، وهي مع ذلك لا تدل على تصديقه، فلو كانت الدلالة عقلية لا طردت، بل الصواب أن الدلالة عادية، وأنه بعد أن يوجد الخارق والتحدي وما ذكر معه، ينظر في حال المتحدي، فإن اختفت به قرائن تدل في العادة دلالة ضرورية على الصدق، وقيل فيه نبي، وإلا قيل فيه دجال وكذاب.

ولاشك أنا نظرنا في حال نبينا(ﷺ) فوجدناه أفضل الخلق منشأ ومولدا ونسبا وحسبا وادبا وصدقا وزهادة وأمانة وإشفاقا وشرفا ورفقا ورحمة وخلقا وخلقا وتعاطفا وإكراما وتفضلا وجودا وبعدا عن جميع الريب، والكذب والتمويه، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، فلما ظهر الخارق على يديه(ﷺ) قطعنا لدلالة تلك الغرائب، والخارق عادة دلالة قاطعة بصدقه.

فالحق أن الدلالة عادية لا عقلية، وبالجملة فالربط الذي بين الخارق والتصديق إنما هو عادي يجوز تخلفه عقلا، فانتفت الدلالة العقلية، وقوله إن التصديق كسائر صفات الخارق المرادة عقلا فيه نظر، فإنه لو كان مثلها لا تفق أن الدلالة عليه عقلية، كيف والعقلية باطلة، فضلا عن الإتفاق عليها، وسر الفرق هو أن الربط الذي بين الخارق وبين صفاته المرادة عقلي، لأنه شوهد وقوعها في الخارق في الخارج قطعا، وسر الفرق هو أن الربط الذي بين الخارق وبين صفاته المرادة عقلي لأنه شوهد وقوعها في الخارج قطعا، فلو كانت غير مرادة لزم عليه ترجيح أحد المتساويين على صاحبه، وهو محال ولا كذلك التصديق، فإنه لم يشاهد وقوعه كلما وقع الخارق، بل حتى ينضم إلى ذلك الخارق القرائن الحالية المفيدة لإرادته، فتبين أن الخارق كلما وجد وجدت معه صفاته التخصيصية، وقد يوجد ولا يوجد معه التصديق، فلذلك كانت الدلالة عقلية في الصفات عادية في التصديق، والله تعالى أعلم هـ جواب شيخنا ابن مبارك تغمده الله برحمته هـ.

ح ع: د 1755

في ظلال الحديث :

الحديث التسعون: الحسد

نص الحديث:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "... لايجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد" رواه النسائي.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

لقد جعل الله المحبة الخالصة بين المسلمين هي أوثق عرى المحبة في الله، وجمع المتحابين تحت ظلال عرشه، ووثق الإسلام بذلك بوجوب المحافظة على مال المسلم وعرضه ونفسه، بأن لايصيبه أذى ولايمس بسوء.

ولكن تبحر بعض النفوس في مياه آسنة تتشفى ممن أنعم الله عليهم ورزقهم من خيره وفضله بالحقد والحسد فيثمر ثمرا خبيثا غيبة ونميمة واستهزاء ومكيدة وزورا وبهتانا وغير ذلك. ولايخلو مجتمع من تلك النفوس الدنيئة.

لذلك كان لزاما علينا أن نطرح مثل هذه المواضيع التي انتشرت في المجتمع الإسلامي كما نرى في العديد من الأحيان، وهذا أمر إن وجوده مقبولا في مجتمعات لاتؤمن بيوم الوعيد، فهو أمر لاينبغي لمسلم فعله ولو زينت له نفسه بإيعاز من الشيطان سبل ذلك، ونسأل الله تعالى بداية أن يطهر قلوبنا من الغل والحسد وغيرهما من الأمراض التي تكدر صفو الحياة وتمحق الحسنات.

تعريف الحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وهي أم المعاصي وأولها كما أورد القرطبي في أحكام القرآن: وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر، وقال في موضع آخر: وكان بدء الذنوب الكبر، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه.. ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل.

2. أنواعه:

1. الحسد المذموم وهو كراهة للنعمة على المحسود مطلقا ولو لم تتحول إلى الحاسد.

2. الغبطة أو المنافسة وهي أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيجب أن يكون مثله أو أفضل منه. وهذا النوع أفضل من الأول إذ أنه يوجب على صاحبه الكد والاجتهاد والمثابرة لتحقيق المراد، أما الأول فتجد صاحبه يتوسل بكل عمل قبيح لتحقيق مبتغاه، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوئه، ويطلب عثراته...

3. مراتب الحسد:

1. يتمنى زوال النعمة عن الغير.

2. يتمنى زوال النعمة ويحب ذلك وإن كانت لاتنتقل إليه.

3 أن يتمنى زوال النعمة عن الغير بغضا لذلك الشخص لسبب شرعي كأن يكون ظالما.

4 الا يتمنى زوال النعمة عن المحسود ولكن يتمنى لنفسه مثلها، وإن لم يحصل له مثلها تمنى زوالها عن المحسود حتى يتساويا ولايفضله صاحبه.

5 أن يحب ويتمنى لنفسه مثلها فإن لم يحصل له مثلها فلا يحب زوالها عن مثله وهذا لاباس به.

حكم الحسد: هو خلق ذميم لايقره عقل ولاشرع فهو حرام، فعن عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) رواه مسلم.

5 الأسباب التي تؤدي إلى الحسد:

يمكن تقسيم الأسباب إلى أسباب من الحاسد أو من المحسود أو قد يشترك فيها الاثنان. فالأسباب التي قد تكون من الحاسد نجد العداوة والبغضاء والحقد والتعزز والترفع وكذا حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه، وحب الدنيا وكل ذلك يؤدي إلى تشكل حالة نفسية عنده شعر أم لم يشعر وإن لم يتدارك نفسه بالإصلاح والعلاج في الحين، عاش والعياذ بالله عيشة مضطربة غير مستقرة.

وأما الأسباب التي قد يكون مصدرها ومسببها المحسود فتتجلى، أساسا، في ظهور الفضل والنعمة عليه. وقد يكون الكبر وشدة البغي وكثرة التطاول على العباد سبب ذلك.

ولعل المجاورة والمخالطة ووجود الفردين في مكان واحد أو متقارب كالوظيفة والمنصب والمهمة، كل ذلك يساهم في إبراز هذه الأمراض والعيوب الباطنية، فتبرز إلى السطح أقوالا وأفعالا وسلوكا.

6. بعض آثار الحسد وأضراره على الفرد والمجتمع:

1. حلق الدين فلقد أخرج السيوطي في الجامع الصغير وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء. هي الحالقة، حالقة الدين لاحالقة الشعر. والذي نفس محمد بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تحابوا. أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

2. انتفاء الإيمان الكامل كما هو مبين في الحديث الذي بين أيدينا.

3. رفع الخير وانتشار البغضاء في المجتمع "لايزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا".

4. إسخاط الله وجني الأوزار "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" في إسناده ضعف.

5 مقت الناس للحاسد وعداوتهم له "شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه".

6. الحاسد يتكلم في المحسود بما لايحل له من كذب وغيبة وإفشاء سر.

7. الموقف الذي يجب أن يقفه المحسود من الحاسد:

1. الرجوع إلى الله وتجديد التوبة مع الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.

2. التوكل على الله.

3 الاستعاذة بالله وقراءة الأذكار والأوراد الشرعية.

4. دعاء الله بأن يقيك من الحساد.

5. العدل مع الحاسد وعدم الإساءة إليه بالمثل.

6. الإحسان إلى الحاسد.

7. الرقية بالقرآن والمأثور مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

8. السبيل إلى التخلص من الحسد:

1. التقوى والصبر، وخير المومنين من خالط الناس وصبر على أذاهم.

2 القيام بحقوق الناس وعدم غمطهم، فإن ذلك قد يورث في قلوب ما هو أقبح من الحسد.

3. عدم البغض، وإن في خبر الرجل المبشر بالجنة لأنه لايكن بغضا لأحد خير دليل على وجوب تجنب مثل هذه الآفات السيئة.

4. العلم بأن الحسد ضرر على الحاسد في الدنيا والأخرة.

5. الثناء على المحسود وبره.

6. إفشاء السلام.

7. قمع أسباب الحسد من كبر وعزة نفس.

8. الإخلاص .

9. قراءة القرآن.

10. تذكر الحساب والعقاب.

11. الدعاء والصدقة.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تخريج الحديث:

هذا جزء من الحديث الذي أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (ج3ص9ح4317)، وفي المجتبى (ج6ص12ح3019)، والترمذي في فضائل الجهاد عن رسول الله.

درجة الحديث:

حديث صحيح كذا قاله الحاكم، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

سند الحديث:

هذا جزء من حديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى فقال: أخبرنا عيسى بن حماد قال حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لايجتمعان في النار مسلم قتل كافرا ثم سدد وقارب ولايجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولايجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد. وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

أخبرنا عيسى بن حماد: هو أبو موسى عيسى بن حماد بن مسلم بن عبد الله التجيبي المصري زغبة. روى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم. قال أبو حاتم ثقة رضي وقال أبو داود لابأس به وقال النسائي ثقة وقال في موضع آخر لابأس به وقال الدارقطني ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وكان آخر من حدث بالدواوين عن الليث بن سعد توفي يوم الثلاثاء ليومين خليا من ذي الحجة سنة 248هـ.

قال حدثنا الليث: هو أبو الحارث ليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري. قال أحمد الليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث وعن يحيى بن معين أنه قال ليث بن سعد ثقة وقال علي بن المديني الليث بن سعد ثبت وقال أبو زرعة صدوق. توفي رحمه الله ليلة الجمعة في نصف شعبان سنة 175هـ.

عن ابن عجلان: هو أبو عبد الله محمد بن عجلان الإمام القدوة المدني. كان مفتيا فقيها عالما عاملا ربانيا كبير القدر له حلقة كبيرة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وثقه ابن عيينة وغيره. قال ابن المبارك: لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان، كان أشبه بالياقوتة بين العلماء رحمه الله. توفي سنة 148هـ رحمه الله تعالى.

عن سهيل بن أبي صالح: هو أبو يزيد سهيل بن أبي صالح السمان وهو ابن ذكوان مديني معدود في المدنيين، مولى جويرية بنت الحارث الخزاعية. أطلق أحمد بن عبد الله العجلي القول بتوثيقه وقال النسائي ليس به بأس وقال ابن عدي ثبت مقبول، وقال سفيان بن عيينة كنا نعده ثبتا في الحديث وقال أحمد بن حنبل ما أصح حديثه وقال هو أثبت من محمد بن عمرو، توفي سنة 138هـ.

عن أبيه: هو أبو صالح السمان ذكوان المدني مدني كوفي تابعي ثقة وهو أبو سهيل الزيات السمان مولى جويرية الغطفانية وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة شهد الداروحصار عثمان رضي الله تعالى عنه وسأل سعد بن أبي وقاص وسمع أبا هريرة وعائشة وابن عباس وعدة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وعنه طائفة ذكره أحمد فقال ثقة، ثقة من أجل الناس وأوثقهم قال الأعمش سمعت من أبي صالح ألف حديث. توفي سنة إحدى ومائة (101هـ)رحمه الله تعالى.

عن أبي هريرة: أبو هريرة الدوسي اليماني الحافظ الفقيه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن صخر على الأشهر كان اسمه في الجاهلية عبد شمس. قدم أبو هريرة مهاجرا ليالي فتح خيبر حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع قال البخاري روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر، وكان من أصحاب الصفة فقيرا ذاق جوعا وفاقة ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم صلح حاله وكثر ماله وكان كثير التعبد والذكر ولي إمرة المدينة. توفي سنة ثمان وخمسين (58) قاله جماعة رضي الله تعالى عنه.

أهمية الحديث:

هذا حديث غاية في الأهمية، من خلاله يبين النبي صلى الله عليه وسلم خطر الحسد، وأنه ليس من أخلاق المؤمن، إذ لايجتمع في قلب مؤمن خلقان متناقضان، وهي إشارة إلى أن الحسد من علامة مرض القلوب.

مفردات الحديث:

"الحسد": تمني زوال نعمة الغير، وهذا تقبيح للحسد وبيان أنه لا ينبغي للمؤمن أن يحسد.

المعنى العام

حديث المنابر

توازن العمل بين الدين والدنيا

■ إعداد الأستاذ: محمد بن جلون

الخطبة الأولى:

■ الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وأكرمنا برسالة سيد الأنام واشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له شرع لنا العمل للدين والدنيا وجازى العاملين المخلصين بالحسنى، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بالحق إلى الناس كافة دعانا للعمل الصالح للدنيا وللدين صلى الله عليه وسلم وبارك عليه ما اعتصم مومن بحبل الله ورضي الله عن آله الأطهار وصحابته العلماء الأبرار المهاجرين والأنصار وعن الخلفاء الأربعة الراشدين وازواجه الطاهرات أمهات المومنين وعن التابعين بأحسان إلى يوم لاريب فيه.

إخوتي المومنين: كل مسلم هو مطالب بأن يعمل في حياته كلها صالحا يرضاه الله بتوازن بين عباداته الدينية وبين معاملاته الدنيوية لينتفع ويسعد بنتيجة أعماله (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا).

إن دين الإسلام بطبيعته المثلمى يمهد بين يدي سائر المسلمين إلى تسخير جميع قوانا الروحية والمادية كي نصل بذلك إلى مستوى السعادتين:

1. سعادة الدنيا بالبسطة في العلم والجسم والذرية والمال وفق أمر الله تعالى.

2. وسعادة الأخرة بإقامة الأركان والعبادات اللازمة طبق تعاليم الإسلام المشروعة. مصداقا لقول الله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون...)الآية. وقوله تعالى ياأيها الناس اعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لاينبغي للمومن أن يعمل للدنيا بشراهة وتكالب مادي صرف فيضر بآخرته لعدم التوازن المطلوب. كما أنه لاينبغي أن يعمل لدينه بغلو وارهاق وتشدد فيضر بدنياه التي فيها معاشه له ولمن له الحق عليه "اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا".

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يراوح بين أعمال الدنيا وبين أعمال الأخرة دون أن يهمل هذه لتلك، ولا أن يترك تلك لهذه، كان يصوم حتى نقول إنه لايفطر ويفطر حتى نقول إنه لايصوم. وكان يقول الليل إلا قليلا رغم أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وماتأخر. وكان يعطي من ماله في سبيل الله حتى لم يبق لنفقة أهله شيئا، وكان يجوع زهدا وورعا وماشبع من خبز الشعير قط تواضعا لله، في حال أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم قيام الأبطال العظام بمدافعة خصوم الإسلام لنشر دين الإسلام واعلاء كلمة الله بشتى أنواع الأعمال البطولية. كما كان يقوم بتحريض المسلمين شيوخ وشباب على العمل من أجل الكسب الحلال المشروع ويقول: "اليد العليا خير من اليد السفلى" ويقول: "الدين المعاملة" ويأمر المسلمين ويحث الشباب على العمل النافع لخير البلاد والعباد بما رواه الامام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المومن القوي خير وأحب إلى الله من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله ولو شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"

إن رقي الأمة وحضارتها وسؤددها يتجلى في توازنها في أمر الدين والدنيا توازنا يعدل بين الكفتين بكلتا الحسنيين، وصدق الله العظيم (ربنا آتنا في الدينا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا وتجمع بها أمورنا وتزكي بها أعمالنا وتعصمنا بها من كل سوء آمين، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

وجوب تقوى الله في سائر الأعمال:

الحمد لله ولايحمد سواه وأشهد أن لاإله إلا الله ولي المتقين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه صلى الله وسلم وبارك عليه وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين

اخوتي المومنين أيها الشباب المومنون: إذا كانت حياتنا الانسانية وقيمنا الروحية مسؤولتين بلزوم تقوى الله سرا وعلانية فإن حياتنا الدنيوية المادية في سائر معاملاتنا مع جميع الناس هي كذلك مسؤولة بواجب تقوى الله في كل عمل ، عمل مع أي أحد من الناس من سائر المستويات. في حديث قدسي يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رب العزة: "ياعبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"

ومن المعلوم اليقين: أن تقوى الله ماجاورت قلب امرئ إلا وصل إلى الهدف المنشود من كل إنسان بالقرب من الله الكريم الغفور الرحيم الذي يحب المتقين فعلينا جميعا أن لانتعدى حدود الله ولا نزيغ عن سنة رسول الله، بتوازن مستمر متواصل في عبادتنا وفي معاملاتنا على السواء، روى الترمذي وصححه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ماتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع:

1. عن عمره فيما افناه.
2. وعن شبابه فيما أبلاه.
3. وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.
4. وعن علمه ماذا عمل به.

قال الله تعالى (إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون).

ومن آخر حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... «إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

اللهم آت نفسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها آمين. واغفر لنا ولوالدينا ووالديهم ولاهلنا وأولادنا ولسائر أمة سيدنا محمد إلى يوم الدين.

وصل اللهم وسلم وبارك على رسول الإنسانية الكامل سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وانصر اللهم مولانا أمير المومنين الملك محمد السادس نصرا مؤزرا وأمده بعونك وإعانتك في جميع حركاته واحفظه في ولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وأنبته يارب نباتا حسنا وشد أزره بشقيقه سمو الأمير الجليل مولاي رشيد وكافة الأسرة الشريفة إنك سميع مجيد، واحفظ اللهم أمة الإسلام بما حفظت به الذكر الحكيم وألف بين قلوبهم واجمع شملهم وكلمتهم على كتابك وسنة نبيك آمين.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلام على إمامة الصلاة والمدرس

الحمد لله،

■ ومن الخطط الدينية الشرعية الصلاة والقضاء والفتوى وكلها تندرج تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة، وكأنها الأم الكبرى والأصل الجامع.

أما إمامة الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها، وأرفع من الملك بخصوص المندرج معها تحت الخلافة، شهد لذلك استدلال الصحابة في أبي بكر باستخلافه في الصلاة على استخلافه بالسياسة في قولهم: ارتضاه رسول الله(ﷺ) لديننا أفلا نرضاه لدنيانا فلولا أن الصلاة أرفع من السياسة لما صلح القياس.

ثم اعلم أن المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الفاشية معدة للصلوات المشهورة، وأخرى دونها مختصة بقوم أو محلة، وليست للصلوات العامة، فأما المساجد العظيمة فأمرها إلى الخليفة أو من يفوض إليه من سلطان أو وزير أو قاض، فينصب بها الإمامة في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والكسوف والاستسقاء، وتعيين ذلك إنما هو من طريق الأولى ليلا يفتات الرعية عليه شيئا من المصالح العامة، وأما المساجد المختصة بقوم أو حلة فأمرها إلى الجيران، ولا تحتاج إلى نظر خليفة ولا سلطان، وأحكام هذه الولاية وشروطها والمولى منها معروفة في كتب الفقه ومبسوطة في الأحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا نطيل بها.

وأما الفتيا فللخليفة تصفح أهل العلم والتدريس، ورد الفتيا لمن هو أهل لها، وإعانته على ذلك، ومنع من ليس أهلا لها، وزجره لأنه من مصالح المسلمين فتجب عليه مراعاتها ليلا يتعاطاها من ليس أهلا فيضل.

وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد، فإن كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في أيمتها كما مر، فلابد من استيذانه في ذلك، وإن كانت من المساجد العامة، فلا تحتاج لإذنه،

على أنه ينبغي لكل من المدرسين والمحققين أن يكون له زاجر من نفسه يمنعه من التصدي لما هو ليس أهلا له، وفي الأثر أجراكم على الفتيا أجراكم على النار، فللسلطان فيهم من ذلك ما تقتضيه المصلحة من اجازة أورد، وما في الخطط مذكور في لامية الزقاق وشروحها فانظره: ص:27 - /28 د2982.

علم التوقيت وآلة الربع المجيب

- الحلقة الأولى -

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ اختلف في معرفة أوقات الصلوات هل هي واجب عيني أو كفائي؟ لما ورد عن الشارع من الحث على تعليم معرفة أوقات الصلاة والتأكيد على الاعتناء بها، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: . أن خير عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر، والنجوم لذكر الله . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: لو أقسمت لبررت أن أحب العباد إلى الله تعالى رعاة الشمس (يعني المؤذنين) وأنهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم . واختلف في معنى طول أعناقهم فقيل أن معناه أنهم يكونون رؤساء ، وقيل غير ذلك.

فذهب جماعة من الأئمة إلى أن معرفة أوقات الصلاة فرض عين، ونقل الإمام الرجراجي عن جماعة أنه فرض كفاية ، وقال الإمام القرافي في مقتضى القواعد أن تكون معرفة أوقات الصلاة فرض كفاية لجواز التقليد فيها، وقال الإمام البرزلي مقتضى المذهب قبول قول العارف العدل في أوقات الصلوات والصوم.

وقال ابن يونس رضي الله عنه:

ومعرفة الأوقات فرض معين
على عقلاء المسلمين مؤكد
أتى ذاك في القرآن مجملا
وفسره خير البرية أحمد
فمهما رأيت الظل قد زاد فيؤه
فصل صلاة الظهر إذ ذاك تسعد
وزد قامة بعد الزوال فإنه
أوان لوقت العصر وقت محدد
وعند غروب الشمس قم صل مغربا
فليس لها وقت سوى ذاك مفرد
وصل العشاء وانت للجو ناظر
إذا الشفق الأعلى يغيب ويفقد
ولا تلتفت إلى بياض فإنه
يدوم زمانا في السماء ويوجد
وآخر هذا الوقت إن شئت فانظرن
إلى ثلث ليل فانظرن ذاك موعد
وايقن بأن الفجر فجران عندنا
وميزهما حقا وانت مقلد
فأول فجر منهما طالع كما
ترى ذنب السرحان في الجو يصعد
فهذا كذوب ثم آخر صادق
منور ضوء بعده يتجدد
ولا خير فيمن كان بالوقت جاهلا
ولم يك ذا علم فيما يتعبد
وآخر هذا الوقت مطلع شمسنا
لمن فاته الوقت الذي هو أجود

وهكذا تجد المؤمن المسلم يهتم بأوقات عبادة ربه فهو يراعيها ويحافظ عليها.

ولذا تجد طلبة البوادي يقيسون هذه الأوقات النهارية بالأقدام، وفي الليل بالنجوم، وقد وضعوا لذلك رموزا وأراجز حتى العوام منهم أصبحوا يعرفون أقدام الزوال ودخول المنازل وتوسطها للدلالة على معرفة الأوقات وغير ذلك.

أما في المدارس العتيقة هنا بالمغرب فمنذ قرون عدة والعلماء يعتنون كل الاعتناء ويهتمون كل الاهتمام بمواقيت الصلاة حرصا منهم على أدائها في وقتها ، ولما يتقرر عندهم من أحكام فقهية في أداء الصلاة في وقتها الاختياري والضروري، ولذا تجد أن آلة الربع المجيب التي هي موضوع مقالنا هذا قد انتشرت كثرا وألف عليها كثيرا وأصبحت هي الآلة الوحيدة عند عامة الطلبة قديما المعروفة أكثر من غيرها لعموم العمل بها لجميع عروض البلدان ، ولكن يلاحظ أن في هذه المدة الأخيرة قد اختفت من بين محافل الدروس العلمية العتيقة ، وهذا الاختفاء يظهر لي أنه مر عليه قرابة خمسين عاما لدرجة أن هذه الآلة أصبحت مجهولة عند كثير من العلماء والباحثين الآن، حتى الكتب المؤلفة عليها لم تعد تظهر ولا أثر لها على الإطلاق.

ولنعد، الآن، إلى التطرق إلى تسليط الأضواء على هذه الآلة والكشف عن خبايا في إطار سلسلة الحديث عن الآلات الفلكية الميقاتية التراثية.

فبعد أن تحدثنا عن الآلة الجامعة، وعن آلة الثلث، وعن المزاول الميقاتية جاء الآن دور الآلة الرابعة وهي:" آلة الربع المجيب"

هذه الآلة تسمى بالربع المجيب ، والربع المفصص ، وربع الدستور، وهي آلة شعاعية موصلة للمطالب الفلكية بالأعمال الجيبية.

وقال عنها عبد الواحد بن عاشر رحمه الله في منظومته على الربع المجيب:

وبعد فالربع المجيب
للوقت قسطاس قويم أصوب

قال الأغزاوي : وقوله" قديم" يريد أنه لا يعتريه على تطاول الزمان خلل ولا تدخله كغيره من الآلات علة من العلل.

وقد اختلف المؤرخون في مخترع هذه الآلة، فمنهم من نسبها إلى الإغريق ، ومنهم من نسبها لعالم من علماء الهند ، وقيل: إنها اختراع عربي إسلامي ، وقيل: إنه مخترع من خوارزم.

يقول باشا مختار في كتابه" رياض المختار ومرآة الميقات والأدوار": ويظهر أن علماء الإسلام كانوا يستعملونها قديما لتعيين أوقات الصلاة وما يتعلق بها كتعيين عروض البلدان ، ثم استعملوها فيما بعد لحل المسائل التي تحل الآن بواسطة الجداول اللوغاريتمية.

ومن العجب أن الأولين اخترعوا هذه الآلة باختراع الهندسة الوضعية والإشارات الجبرية التي بواسطتها تسهل البراهين والمباحث المتعلقة بها، ثم زاد قائلا : والحاصل أن الربع المجيب آلة ذات شأن اخترعت بواسطته الهندسة الإقليدية فقط ، ويمكن بواسطتها حل جميع المسائل المتعلقة بالجيب، وجيب التمام ، والمماس ، وتمام المماس، والسهم وتمام السهم بدون أن ينشأ عن ذلك خطأ، وإذا ما نشأ فلا يتجاوز خمس دقائق انتهى.

وأنا هنا في هذا المقال سوف لا أدخل في شرح وبيان قواعد أعمال هذه الآلة لأن هذا يدرس في علم التوقيت بانتظام.

وقد نوه بهذه الآلة وأجاد العالم الإمام أبو الربيع سليمان القشتالي ونوه كذلك برسالة المارديني المسماة" الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية" المشار إليها سابقا بقوله:

ربع الجيوب مذلل في وضعه
ومحقق الأعمال بالبرهان
ولكل عرض في الآفاق موافق
ومعدل في سائرالأزمان
قسطاسه لذوي التفرد غاية
ويريك فيه الحق بالعيان
وأجاد فيه المارديني رسالة
نثرت لألي عقدها ببنان

وذكر الأغزاوي في شرحه على منظومة ابن عاشر خاتمة بين فيها المبادئ العشرة لهذا الفن فقال:

وقد جرت عادة المؤلفين بذكر مبادئ العلم عند الشروع فيه، وقد عرف الإمام القشتالي هذه الآلة بأنها آلة شعاعية موصلة للمطالب الفلكية بالأعمال الجيبية .

فالآلة جنس، والشعاعية مخرج لنحو الرمليات والمنجانات، وموصلة للمطالب الفلكية مخرج لنحو المرآة المبنية على المناظر كالآلة المحرقة، والتي تقرب المبصرات أو تبعدها، وبالأعمال الجيبية مخرج لنحو الأسطرلابات وربع المقنطرات، والعمل بنصف الدائرة وثمنها، والعمل بالصفائح والظلال انتهى كلامه.

ثم يعترض الأغزاوي . رحمه الله . على هذا التعريف بقوله :

وهذا الحد غير مطرد ولا منعكس، أما فساد طرده فمن حيث دخوله ثمن الدائرة لأنه موصل للمطالب الفلكية بالأعمال الجيبية ....

ثم يضيف الأغزاوي قائلا:

وأما فساد عكسه فمن حيث كون هذه الآلة موصلة لبعض الأعمال المساحية مثل ارتفاع الصوامع ، وانخفاض الآبار ، وسعة الأنهار، وكل مافيه تناسب ، وعليه : فكان ينبغي أن يزيد في التعريف المذكور بعد قوله آلة شعاعية ذات قوس تسعيني وخطين آخذين بطرفيها متقاطعين على مركزها موصلة إلى المطالب الفلكية وبعض الأعمال المساحية ، فيخرج ثمن الدائرة. بقولنا ذات قوس تسعيني وتدخل الأعمال المساحية بما بقي.

وأما موضوعه : أعني علم الربع المجيب. فالقسي والجيوب من الحيثية المذكورة.

وأما استمداده:

فمن علم الهندسة.

وأما حكم الشارع فيه : أعني علم الميقات.

فهذه الآلة وغيرها حكمها الوجوب الكفائي كما تقتضيه نصوص أئمتنا.

(يتبع)

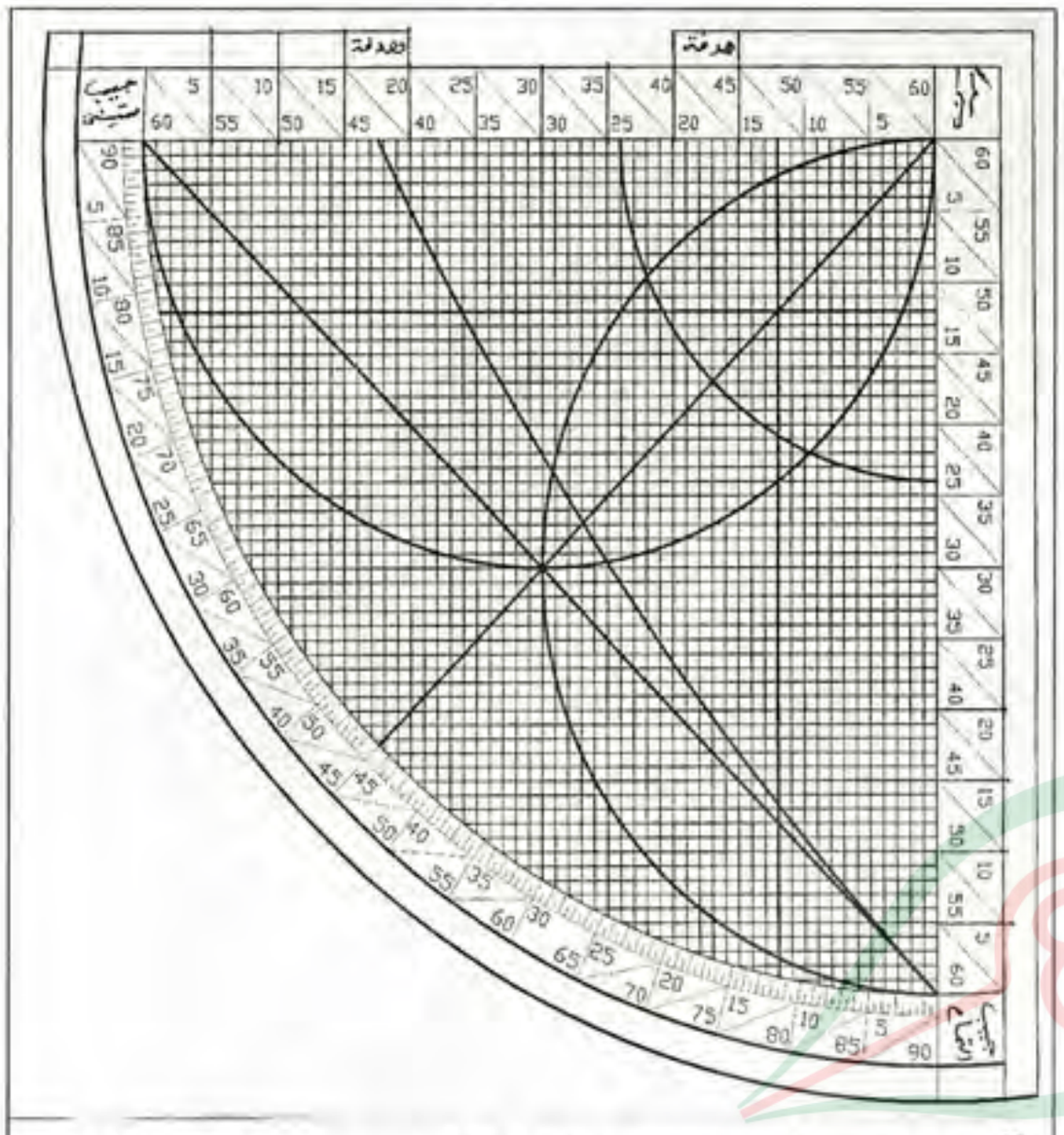

آلة الربع المجيب : تخطيط محمد الرمشاني

من أعلام التصوف المغربي

أبو العباس أحمد ابن عجيبة التطواني

■ إعداد الأستاذة: زبيدة بن علي الورياغلي

- الحلقة الثانية -

■ يقول ذ.داود: "والنسخة التي وقفت عليها من هذا الكتاب، كتبت في حياة المؤلف سنة 1208هـ بخط الفقيه العدل سيدي عبد الله بن علي شطير، وتقع في 253 صفحة متوسطة الحجم، والمفهوم أن المؤلف كان ينقح كتابه هذا ويزيد فيه تناسب زيادته، ويؤرخ وفاة العلماء الذين ماتوا قبله، فلذلك لايستغرب أن يوجد شيء من الاختلاف بين نسخ هذا الكتاب".

أما باقي مؤلفات ابن عجيبة الأخرى، فقد رتبها المؤلف على حسب تاريخ تأليفها، وعمد عند وصف أي : كتاب إلى ذكر مقدمته، ثم عدد صفحاته، وأماكن وجوده، وفي الختام تاريخ الفراغ من تأليفه، كما وضع لائحة بأسماء الكتب التي لم يعرف تواريخ تأليفها.

كما تحدث مؤرخ تطوان عن مختلف العلوم والفنون التي تلقاها ابن عجيبة على يد كبار علماء تطوان وفاس، التي لم تخرج عما ذكره صاحب الترجمة في فهرسته وفي سياق الحديث عن عبادته وزهده، ثم دخوله عالم التصوف أثبت المؤلف بعض نصوص الرسائل التي كتبها الشيخ محمد البوزيدي إلى تلميذه ابن عجيبة، وإلى غيره من الفقراء الدرقاويين بتطوان، والأسباب التي دفعته إلي إثبات هذه الرسائل التي وقف عليها بنفسه. ضمن هذه الترجمة هي: "أولا: لمعرفة نفس الشيخ البوزيدي واتجاهه الذي أثر في الفقيه ابن عجيبة كل التأثير، حتى انقلبت أحواله وانقاد له، وصار من أكبر أتباعه وخدامه. وثانيا: لبيان طريقة الشيخ المذكور في التربية الصوفية، وأسلوبه في ميدان النصح والإرشاد، وخصوصا للمنغمسين في الماديات، والمنكبين بكليتهم على الدنيا وشهواتها ثم ذكر المؤلف سياحة ابن عجيبة وأتباعه من فقراء الدرقاوية في كثير من المداشر والمدن، من أجل الدعوة إلى طريق الله وتنبيه الغافلين عنها، ومالقيه في سياحته من التأييد والإقبال من البعض، والاضطهاد والرفض من البعض الآخر.

أما خرقه للعوائد وتجرده عن أحواله وعاداته، امتثالا لما أمره به الشيخ البوزيدي بعد دخوله سلك التصوف، فقد فصل فيه المؤلف الكلام عن هذه المرحلة الصعبة والخطيرة من حياة شيخنا ابن عجيبة رحمه الله، وذلك اعتمادا على ما ذكر في الفهرسة. بعد هذا خلص المؤلف إلى محاولة تبيين أسباب نكبة الشيخ ابن عجيبة وأتباعه الدرقاويين، ودخولهم السجن ومحاكمة الجميع بما فيهم الفقراء الدرقاويين القادمين من تازة، واكتشاف الدوافع الكامنة وراء وقوف علماء تطوان وقادتها في وجه الطائفة الدرقاوية بزعامة الشيخ ابن عجيبة سنة 1209هـ.

وكان آخر فصل من فصول ترجمة ذ.داود للشيخ ابن عجيبة هو قصة وفاته ومدفنه، نقلا عما اورده المعسكري في ترجمته لابن عجيبة في كتابه "كنز الأسرار" وماكاد مؤرخ تطوان يفرغ من ترجمته الواسعة للشيخ ابن عجيبة حتى ألحقها بعنوان آخر وهو: أخطاء ينبغي إصلاحها عن الشيخ ابن عجيبة، وهذه الأخطاء ارتكبها بعض المؤرخين. وخاصة المشارقة منهم. عند ترجمتهم لشيخنا، فهناك من نسبه إلى مدينة فاس، أو أخطأ في تاريخ وفاته وأسماء مؤلفاته، إلى غير ذلك من الأخطاء، الشيء الذي دفع ذ.داود إلى إصلاح هذه الأخطاء، والرد على أصحابها واحدا واحدا في ج:6/255.258.

6. طبقات الشاذلية الكبرى: لمؤلفه الحاج محمد الكوهن الفاسي الشاذلي

أفرد مؤلفه للشيخ أحمد ابن عجيبة بترجمة وافية، حافلة بالنعوت والأوصاف المجيدة، واصفا إياه بالقطبانية والولاية والكرامات، مستعرضا تآليفه وشروحه الكثيرة، لكنه غفل عن ذكر شيوخه في علم الظاهر مكتفيا بشيخه في التصوف. وختم الترجمة بتقديم نموذج من تفسير الشيخ لآية قرآنية تفسيرا إشاريا، ثم ذكر تاريخ وفاته حيث قال: "توفي قدس الله روحه في منتصف القرن الثالث عشر، ومقامه بالمغرب مشهور يتوسل به إلى الله في قضاء الحاجات ودفع الكربات إلا أن المؤلف قد وقع في في خطأ كبير، حينما نسب الشيخ ابن عجيبة إلى مدينة فاس حيث وصفه بقول: "... ولي الله الأكبر وغوثه الأشهر، سيدنا ومولانا أحمد ابن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي"ص:161. ومثل هذا الخطأ الفادح لا يليق بمؤرخ لطبقات رجال الطريقة الشاذلية التي ينتمي إليها. ومن المعروف أن الشيخ ابن عجيبة من أصل بدوي قح ولم تكن رحلته إلى فاس إلا لطلب العلم بها، حيث لم تستغرق إقامته بها مدة طويلة حتى ينسب إليها.

وفي نظري أن مثل هذه التراجم لا أهمية لما احتوته من أخطاء.

7. فهرس الفهارس والاثبات: للشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

عمد المؤلف عند ترجمته لسيدي أحمد بن عجيبة إلى تحليل فهرسته تحليلا يوافق ماذكر فيها من مواد وفصول حيث قال: "وله فهرسة افتتحها بالكلام على نسبه وذكر آبائه، ثم ذكر نشأته وتربيته" وقد افتتح الترجمة بسرد أهم مؤلفات الشيخ ابن عجيبة التي منها: "التفسير الشهير في أربع مجلدات، وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية..." ثم ذكر أسماء بعض شيوخه في العلوم الشرعية، وغفل عن ذكر غيرهم خاصة شيوخه بتطوان، ويهدف المؤلف من ترجمته للشيخ ابن عجيبة ربط السند به، حيث يقول: "نتصل به إجمالا بمجرد اللقي والتبرك عن شيخنا الأستاذ الوالد، عن ولده ولي الله الفقيه المفتي المعمر الناسك المرشد سيدي الحاج عبد القادر بن أحمد ابن عجيبة التطواني المتوفى في 6 رمضان 1313 هـ.."2/229. وهو يتصل بالمترجم أيضا في رواية تفسيره عن طريق الحافظ السنوسي عن غير واحد من أصحابه عنه.

8. كتاب مؤرخ الشرفاء: تأليف ليفي بروفنصال، تعريب عبد القادر الخلادي.

خص المؤرخ الشيخ ابن عجيبة بترجمة مقتضبة، اقتصر فيها على ذكر نسبه الشريف، وأسماء بعض كبار شيوخه الذين سمع منهم بفاس، وكذلك أشهر مؤلفاته كما أشار من الجانب التاريخي إلى الدور المهم الذي اطلع به الصوفي ابن عجيبة في نشر الطريقة الدرقاوية بمنطقة جبالة، وتنظيم زواياها بتطوان ونواحيها. كما تحدث المؤلف عن فهرسة ابن عجيبة، واعتبرها مصدرا تاريخيا للحركة الفكرية بتطوان في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

9. كتاب التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق:

تأليف أحمد بن محمدبن الصديق.

خص العلامة سيدي أحمد بن الصديق الشيخ الإمام الصوفي المفسر العارف الكبير سيدي أحمد ابن عجيبة بترجمة وافية توسع فيها في عرض جميع أطوار حياته من الميلاد إلى الوفاة، معتمدا فيها على ما أورده المترجم نفسه في فهرسته. وتكتسي هذه الترجمة أهمية خاصة نظرا لما يجمع المؤلف والمترجم من روابط النسب والطريقة. وقد ذكر المؤلف مراحل التعليم والعلوم التي تلقاها ابن عجيبة على علماء تطوان وفاس وإجازاتهم له، أمثال الفقيه أحمد الرشتي، وعبد الكريم بن قريش والشيخ التاودي بن سودة وغيرهم، إلى ذلك من الأحداث والوقائع التي سجلها ابن عجيبة بنفسه في فهرسته. كما قدم ابن الصديق لائحة بأسماء مؤلفات ابن عجيبة النفيسة، وأكثرها في التصوف اعتمادا على ماجاء في الفهرسة "وله مؤلفا أخرى لم تتم" ص:23. وختم الترجمة بذكر وفاته بقبيلة بني سلمان الغمارية عند شيخه البوزيدي، ثم نقله من طرف أصحابه إلى حيث يوجد ضريحه الآن بالزميج من قبيلة أنجرا، وكانت وفاته. كما هو معلوم. سنة أربع وعشرين ومائتين وألف هجرية.

10. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: تأليف ذ.عبد العزيز بنعبد الله

ترجم المؤلف للشيخ ابن عجيبة ترجمة مختصرة، ذكر في مقدمتها تاريخ وفاته مع الإحالة على بعض مصادر ترجمته، ورغم هذا الاختصارفإن لهذه الترجمة أهميتها، ذلك أن المؤلف أولى اهتماما بالغا لجانب التأليف والتصنيف في الإنتاج الفكري لابن عجيبة، فقدم جردا بأسماء مؤلفاته العديدة مع الإشارة إلي أرقامها ومظان وجودها بالخزانات والمكتبات العامة داخل المغرب وخارجه.

وتبلغ حصيلة ماذكره 28 مؤلفا ما بين مؤلفاته كبيرة وتقاييد وكنانيش صغيرة، وقصائد وشروح وبعض الرسائل، وجل هذا الإنتاج لايزال مخطوطا، والحقيقة أن قليلة هي التراجم التي عرفت بأعماله بهذا التوسع.

تعزية

«كل نفس ذائقة الموت»

صدق الله العظيم

انتقل إلى عفو الله الشريف الفقيه سيدي محمد العلوي ليلة السبت 25شوال 1424 هـ الموافق 20 دجنبر 2003م.

وأمام هذا المصاب الأليم يتقدم جميع معارفه ومحبيه وبالأخص العاملين برابطة علماء المغرب بأحر التعازي وأصدق المواساة إلى أسرته آملين من الله سبحانه وتعالى أن يسكنه فسيح جناته وأن يلهم ذويه الصبر الجميل.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

روح خطبة الجمعة في النصوص التي تتخللها

■ إعداد الأستاذ: محمد حمان

الحلقة الثانية

القرآن والخطيب الواعظ

■ وبما أن خطيب الجمعة لا انفكاك له عن النصوص القرآنية والحديثية، ولامناص له من استعمال هذا النص أو ذاك في خطبته التي يقصد بها وعظ الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم الموصل إلى مرضات الله، فإنه ملزم بفهم النصوص القرآنية أو الحديثية التي يستشهد بها في موضوع خطبته، فلا معنى على الإطلاق لأن يستشهد بنص لايفهمه ولايعرف المراد منه،لأن مقصوده بكل تأكيد من خطابه الممزوج بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو توعية الجماهير، المستمعة للخطبة، والتوعية تقتضي الفهم والإفهام، فالذي يفهم مايقوله في خطابه هو الذي يستطيع أن يفهم غيره، ويحدث فيه مايريده من التأثير في هذا الجانب أو ذاك من الجوانب التي يلاحظ وقوع نوع من الخلل فيها، عملا بقوله تعالى في محكم كتابه الحكيم: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

والخطيب الناجح في خطبته هو ذلك الذي يحسن اختيار موضوعها الذي يلزم أن يكون مناسبا وماسا لحياة الناس، وفي صلب اهتماماتهم، وأقرب إلى مشاعرهم، فبحسن اختياره للموضوع يستطيع أن يربط جمهور الحاضرين بما يلقيه على مسامعهم من المواعظ والإرشادات، فهو مثلا إن رأى في محيطه الاجتماعي انصراف الناس عن حضور الصلاة الجماعية في المسجد مع الإمام رغبهم في الحضور انطلاقا من قوله تعالى: "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار، ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب" ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة".

وعلى خطيب الجمعة أن يقوم بتهييئ خطبته ويعتني بها عناية فائقة، سواء كان من عادته أن يلقيها على الناس ارتجالا ، أو تعود على أن يقرأها عليهم من الأوراق التي أعدها فيها، إذ بهذا الإعداد يحفظ نفسه من الوقوع في أي انزلاق، يكون فيه إحراج لنفسه، وفي نفس الوقت يكون قد احترم المصلين معه باستعداده لملاقاتهم بما جمعه لهم في خطبته من الفوائد التي يحتاجون إليها في حياتهم وبعد مماتهم، وهذا التهييء والإعداد يحتاج منه إلى بذل مجهود كبير، وإنفاق وقت طويل، ومراجعة الكثير من الكتب المفيدة والتي لها صلة وثيقة بموضوع خطبته، وعليه أن يكون موضوعيا في مخاطبته للجماهير الحاضرة، وعليه ألا يقول إلا مايفعل ويعتقد أنه الحق، حتى لايصدق عليه قول الرب الحكيم في كتابه الكريم، معاتبا لبعض المومنين الذين يخالف قولهم فعلهم: "ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون".

ومما هو مطلوب من الخطيب على وجه الإلحاح أن يحسن الإلقاء، وهو يخاطب جمهور المصلين، بحيث تتناسب حالته وحتى نبرات صوته، مع مايريد التعبير عنه من المعاني، ويحافظ في جميع أقواله واستشهاداته على وحدة موضوعه، ويعمل على ترابط أفكاره وتسلسلها باستعماله لأقصر الجمل المعبرة عن المراد، وأجمل الألفاظ التي يستحسنها ويفهمها عموم الناس، ويطلب منه كذلك أن يحسن قراءة النصوص القرآنية والحديثية مع نوع من الترتيل المطلوب في قراءة القرآن، عملا بقوله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: "... ورتل القرآن ترتيلا"

ومما هو مطلوب، وينبغي للخطيب أن يعتني به عناية خاصة تنويع موضوعات الخطبة ووحدتها، بمعنى أن يخطب في كل جمعة حول موضوع خاص يراه مناسبا للظروف الزمانية والأحوال الاجتماعية التي يعيشها الناس في محيطه الاجتماعي، أو على مستوى جميع جهات وطنه، وأن تكون كل أقواله دائرة حول الموضوع الذي اختاره الناس إذ بذلك يجعل الناس مرتبطين بوعظه وارشاده، ومهتمين بما يلقيه على مسامعهم، ومستوعبين لما يريد توجيههم إليه وتقويمهم فيه من الأشياء التي يدرك بحكم احتكاكه بهم أنها محط اهتمامهم ومفيدة لهم في شؤونهم الدنيوية والأخروية وهكذا يفعل مع جميع خطبه بكيفية دائمة، بحيث يعالج في كل خطبة موضوعا معينا يراه فارضا وجوده على الساحة الوطنية أو الإقليمية، وبهذه الطريقة يستطيع أن يؤثر في جمهوره التأثير المطلوب، وفي نفس الوقت يتمكن من جعل المصلين راغبين على الدوام والاستمرار في الاستماع إليه والحضور معه والاستفادة من ارشاداته وتوجيهاته، وحتى صوت الخطيب لابد من مراعاة الاعتدال فيه، فلا ينبغي أن ينخفض إلى درجة تجعل الناس لايسمعون الكثير من الجمل والكلمات التي ينطق بها، الأمر الذي يؤدي إلى عدم استفادتهم مما يلقى في الخطبة، كما أنه لاينبغي أن يرتفع إلى ذلك المستوى العالي الذي فيه نوع من الإزعاج للمصلين المستمعين، فخير الأمور الوسط كما يقال، وهذا ربنا جل جلاله يرشدنا إلى كيفية التصرف في مثل هذا المقام، حيث يقول سبحانه مخاطبا وموجها لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام: "ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا".

ومن الأمور التي يطلب من خطيب الجمعة مراعاتها وإدخالها في الاعتبار عنصر الزمان الذي تستغرقه الخطبة، فلا يطيل على الناس ذلك الطول الكبير الذي يجعلهم يملون ويسأمون من خطبته، وبالتالي يزهدون في وعظه وإرشاده، وربما أدى الحال ببعضهم إلى مغادرة المسجد الذي يخطب فيه مثل هذا الخطيب فرارا من تطويله الممل، وبالمقابل عليه ألا يجيز ذلك الإيجاز المخل بالمقصود والمؤدي إلى عودة الجماهير الحاضرة بخفي حنين، كما جاء في المثل العربي المشهور، وحتى إذا كان هناك البعض من الذين يحضرون إلقاء الخطبة ويصبرون على طولها فإن أغلبية الناس يملون من التطويل ولو كان مملوءا بالفوائد، فيبقى الوسط بين الإطالة والإيجاز هو المطلوب والمقبول لدى الخاصة والعامة، وطريقة التوسط، هي التي كان يسلكها النبي عليه الصلاة والسلام في كل أموره بما في ذلك ما كان يلقيه صلى الله عليه وآله وسلم من خطب الجمعة وغيرها، وربنا سبحانه يقول لنا في كتابه العزيز: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا".

والذي يجب على خطيب الجمعة أن يبتعد عنه ويتحاشاه في جميع خطبه هو المسائل الخلافية، لا على المستوى المذهبي، ولا على مستوى الخلاف العالي، لأن المقصود الأهم من خطبة الجمعة هو توجيه الناس وإرشادهم إلى مافيه مصلحتهم دنيا وأخرى، فالذي ينبغي للخطيب أن يركز عليه، وهو يخاطب جمهوره يوم الجمعة من كل أسبوع، هو جانب الإيمان، بحيث يعمل كل مافي استطاعته على تقوية الإيمان في نفوس الحاضرين لديه، ويحثهم على تقوى الله سبحانه، وعلى العمل الصالح المفيد لهم في الدنيا والآخرة، ويحذرهم من كل مايمكن أن يبعدهم عن طريق الله تعالى، أي من أي نوع من أنواع الانحرافات التي جاء الإسلام لمحاربتها في كل زمان وفي كل مكان كالقمار والزنا والسرقة والغش والكذب والسخرية، والمسكرات والمخدرات، وغير ذلك من المحرمات في الشريعة الإسلامية، فالموعظة الحسنة المطلوبة في خطبة الجمعة هي ترغيب الناس فيما ينفعهم حالا ومآلا، وترهيبهم مما يضرهم في حياتهم أو بعد مماتهم، والخطيب الذي يسير هذه السيرة في خطبته يدخل في زمرة من أثنى عليهم الله تعالى وجعلهم من الفائزين، حيث قال عز وجل: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون".

قالت وتعاليت

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

حادث عنصري يودي بحياة طالبة مغربية في الهجر فمن المسؤول؟

قرات في إحدى الصحف الوطنية خبرا عن جريمة قتل ارتكبها عنصري في فرنسا ذهبت ضحيتها زوجته المغربية فاطمة الزهراء.

هذه الجريمة الشنيعة استوقفتني طويلا لما يتعرض له البنات المغربيات عند ما يتوجهن إلى أوروبا أو أمريكا وغيرها لمتابعة دراساتهن ، أو البحث عن شغل ، ويسرع الكثيرات منهن بالاقتران بالأوروبيين الشيء الذي يتسبب في مشاكل اجتماعية خطيرة ، وخاصة عند ما ينجبن الأولاد ، وقد حدثني أحد الآباء وهو زميل لي عن ابنته التي عادت من أوربا مع رفيق لها في الدراسة، ولم تتردد في اقناع عائلتها بالزواج منه لأنه يحبها وتحبه، ولكي تقنع عائلتها بغرامها المتأجج صامت عن الطعام، وأقفلت باب حجرة نومها وهددت أبويها بالويل والتبور إن لم تتزوج من ذلك الأوروبي ، باعتباره مسلما وما كان من العائلة إلا الاستجابة ، وأقامت عرسا شهده أهل الحي الذين صفقوا للعريس الذي ألبسوه الجلباب الأبيض، وجاؤوا بالمائدة والنكافات لتتم البهجة في أحسن حال ، لكن كيف كانت النتيجة بعد عودة العروس والعريس إلى أوروبا؟ لقد تغير الحال وأصبحت حياتهما جحيما وأصبح « الحبيب الغالي » وحشا كاسرا يشتم ويضرب ثم عمد إلى طردها باحتقار عنصري من شقته وهي حامل منه وفي آخر المطاف كان الفشل حليفها في الدراسة الجامعية واضطرت للعودة للمغرب وقد مزقها الندم ، حيث لا ينفع الندم.

إن بعض الأوروبيين يتوجهون إلى مدن فقيرة صغيرة ، ويتحينون الفرص للزواج من بناتها المراهقات مظهرين استعدادهم لاعتناق الإسلام، والزواج من مسلمة على سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذه الظاهرة الخطيرة تقودنا إلى إحدى البلدان الإسلامية التي انتشر فيها ما يعرف بالزواج العرفي ويتحدثون عنه في أفلامهم السينمائية، ففي ذلك البلد تعرف محاكم الأحوال الشخصية مئات القضايا والمشاكل الخاصة بإثبات البنوة . وهناك اثنى عشر ألف سيدة متزوجة عرفيا" ذهبن إلى المحكمة لإثبات نسب أطفالهن لآبائهم، كل منهن تصحب طفلها أو طفلتها لعلها تظفر لهما ببنوة شرعية، وأن تجد له إسما ثلاثيا بعد أن تخلى عنها الزوج العرفي ، ومزق الورقة العرفية وترك جنينها ينمو في بطنها وتنمو معه المشكلة ، فهذا الزواج ينتشر ويتوغل ويمتد من فتيات الجامعة إلى الأرامل وما ينشأ عنه من حمل وأطفال يعتبر مشكلة اجتماعية بالغة الخطورة ، فبدون إثبات بنوة يتحول الأطفال إلى أولاد زنا.

إن مانشاهده في المجتمع من انحلال وتفسخ في العلاقات بين الآباء والأبناء هو ناقوس خطر ، وحتى لا يتسع الخرق، مطلوب من كل أب أو أم إعادة النظر في طريقة معاملتهما للأولاد وإلا كيف نتصور أن نلقى داخل المقاهي المنتشرة في المدينة ودور السينما، وقاعات للألعاب أولادا مراهقين إلى جانب مجموعة من البنات المراهقات لا علاقة تربطهم ببعض ، يقضين الساعات في الفراغ والنجوى ويعلم الله سر ذلك اللقاء؟

قال لي شاب مراهق وهو مزهو مبتهج بمشروع نصوص المدونة التي ستمنح الحرية لرفيقته التي يختلي بها في المقهى :

. رفيقتي .. وحبيبتي سيكون لها الحق قريبا في مواجهة والدها، وتقول له وكل الحق معها:

. أنا سآتيكم بخطيبي ولاحق لكم في الاعتراض على رغبتي في الزواج بمن أحب ، وخاصة كوني بلغت سن الثامنة عشر من عمري.

إني آمل من أعضاء هيئة البرلمان وهم بصدد مراجعة بعض نصوص المدونة ان يكون الهدف من المراجعة مطابقة ومسايرة لظروف مجتمعنا وتقاليده وأعرافه وتربيته بعيدا عن ما تعرفه مجتمعات الغرب من تسيب وانحلال وفساد، فالأسرة المغربية من حقها أن توجه أبناءها إلى ما فيه خير وصلاح أبنائها ولا تترك الحرية لبناتها للتعرف أو الزواج بالأجانب من الأوروبيين وغيرهم... وفيما حدث للطالبة المغربية وقتلها بطريقة عنصرية عبرقلن يريد أن يعتبر من الأسر المغربية آباء وأمهات.

محطات في حياة الفقيد المرحوم الأستاذ الحسن الكتاني

ولد فقيد العلم والدين والدعوة المرحوم الأستاذ الشيخ الحسن بن مولاي إبراهيم الكتاني سنة 1942 بمدينة سلا في بيئة علم ودين وتصوف في أحضان والده شيخ الطريقة الكتانية.

. بدأ حفظ القرآن الكريم في كتاب الفقيه بوشعراء.

. ثم انتقل إلى كُتاب الفقيه الحاج محمد المريني فأتم حفظ القرآن الكريم والمتون العلمية.

. والتحق بمدرسة النهضة عندما انضم إليها كتاب الفقيه المريني، وتابع دراسته بها إلى أن حصل على شهادة الابتدائية.

كما تابع دراسته الثانوية بمدارس محمد الخامس إلى أن حصل على شهادة الباكالوريا

ثم سافر إلى مصر والتحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة وتابع بها دراسته القانونية ونجح في الحصول على شهادة الإجازة وعاد إلى المغرب ليمارس مهنة المحاماة بمدينة القنيطرة كأحد محاميها المقتدرين المشهورين.

الأستاذ الحسن الداعية

بدأت مخايل النبوغ تظهر عليه مبكرا وخاصة في مجال الدعوة إلى الله وهو لم يبلغ العاشر من عمره إذ بدأ يخرج إلى البوادي ليفقه أتباع الطريقة الكتانية في مبادئ دينهم، ويعلمهم الصلاة ويحفظهم الأوراد والأذكار حتى طبق ذكره الآفاق في بضع سنوات.

. ثم تابع طريق الدعوة إلى الله وهو طالب بكلية الحقوق في القاهرة، حيث عمل على تأسيس الزاوية الكتانية بالقاهرة إلى جانب شقيقتها العتيدة بالإسكندرية، وجمع لها الأتباع والمحبين وحصل على الاعتراف بها من لدن الرئيس جمال عبد الناصر في مرسوم حتى أصبح لها صيت كبير ولعله شيخ الطريقة الوحيد من غير المصريين المعترف به.

وفي هذه الفترة أصدر كتيبات من الدعوة، والتوجيه الديني، وأوراد الطريقة وأذكارها.

وعندما عاد إلى المغرب تابع جهاده في طريق الدعوة إلى الله وأسس الزاوية الكتانية لأول مرة بالقنيطرة، وبنى لها مؤسسة عتيدة ما زالت قائمة إلى الآن مفتوحة في وجه العموم لأداء الصلوات الخمس، وتلقى العلم، وإحياء المناسبات الدينية، والتوجيه والإرشاد كما عمل في هذا المجال على إحياء الطريقة الكتانية، وبعث الروح والنشاط في زواياها في عموم الجهات المغربية، وفي توجيه مقدميها وأتباعها وأحبابها، وشارك في إحياء مناسبات، وتجديد معالمها، وتنظيم رحلات الدعوة إلى الزوايا والمساجد بمختلف المدن والبوادي والأصقاع المغربية، من دون عناء أو كلل مما أهله لأن يصبح ناظرا عاما للطريقة إلى أن لقي الله.

كما تابع دعوته إلى الله بصفته رئيسا لفرع رابطة علماء المغرب في جهة الغرب في جهة الغرب، عن طريق دروسه المنتظمة المستمرة، بالمساجد والزوايا. ومحاضراته في النوادي والمراكز الثقافية، وخطب الجمعة، حتى اشتهر عنه أنه لا توجد زاوية أو مسجد بجهة الغرب لم يلق بها درسا أو خطبة.

وشارك في المسيرة الخضراء بحماس كبير، وكان يدعو إلى الله وإلى الجهاد، والتحرير طوال مدة إقامته بالدروس والمحاضرات والتوجيه كما هو مسجل ومشهود له به.

وقد تميز في دعوته إلى الله بالصراحة والصدق، والدعوة إلى سبيل ربه بالتي هي أحسن، والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، والانفتاح على الحوار والمناقشة البعيدة عن التعقيد والتشدد.

الأستاذ الحسن الخطيب

وقد وهب الله الفقيد المرحوم منذ صغره صفات الفصاحة، وطلاقة اللسان، وحلاوة العبارة ورشاقتها، وصدق التوجيه والخطاب، والقبول والإقبال وسرعة النفاذ إلى قلوب المخاطبين وعقولهم، بأسلوبه السهل البسيط، وإقناعه الصريح، وقرن العمل بالقول، والتبيين بالمثل والحديث والاعتماد على آي القرآن وصحيح السنة والسيرة النبوية وسيرة السلف الصالح، وحياة الصالحين وسلوكهم.

ومن هنا كان خطابه مؤثرا، وتوجيهه نافذا وعباراته مفهومة، وكلامه بليغا، ونصيحته فاعلة، تخرج من قلبه لتدخل إلى قلوب المستمعين والمخاطبين، فتفعل فعلها، وتحدث أثرها، ولذلك كان الناس يسارعون إلى الاستماع إلى خطبه، ويتحلقون فرادى وجماعات حول دروسه، ويقبلون بشوق ورغبة على محاضراته وتوجيهاته، لتأثيره فيهم، ووصول كلامه إلى أعماقهم، حتى اشتهر في المغرب والمشرق من بين الخطباء المتميزين المعروفين المحبوبين.

وقد سجل له تاريخ الدعوة أنه كان أكثر العلماء خطابة في المساجد ودروسا فيها، وهكذا عرفته منابر رابطة علماء المغرب، وجمعية الإمام البخاري، ومساجد المملكة وزواياها، ونواديها ومراكزها الثقافية طوال حياته رحمه الله، وقاعات المحاكم، ومؤتمرات النقابة خطيبا، مصقعا مجلجلا، مؤثرا، رائدا.

الأستاذ الحسن العالم

ولم يكد المرحوم يتخرج وينتظم في سلك المحاماة حتى انضم إلى رابطة علماء المغرب، يعمل إلى جانب إخوانه العلماء في مجال الدعوة إلى الله، بإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعمل على جمع كلمة العلماء، وتوحيد صفوفهم، ودعوتهم وتحريضهم على الالتزام بكلمة الله والذود عن حياض الإسلام والدفاع عن المستضعفين في الأرض، والجهاد في سبيل الله، لتحرير فلسطين والشيشان وأفغانستان وغيرها، وبذل النفس والنفيس في قضية وحدتنا الترابية وإرجاع السيادة للشريعة الإسلامية في سائر دول الإسلام بالإحتكام إلى كتاب الله، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، والتأسي بالرسول والسلف الصالح، وتطهير المجتمعات الإسلامية مما علق بها من جهل وتخلف واستعمار، والتمسك بأهل السنة والجماعة، والتركيز على قيام حياة المسلمين على المحبة والخلق الكريم والبر، والتراحم، والتكافل، وكل ما يؤدي إلى إعلاء شأنهم ووحدتهم وعزتهم، وهو ما كان ديدانه في سائر دروسه وخطبه، وتوجيهاته، وسلوكه وسائر حياته.

ولهذا استحق أن يصبح رئيسا لفرع رابطة علماء المغرب بالقنيطرة، وعضوا في المجلس الأعلى للرابطة، وأحد المؤسسين لجمعية الإمام البخاري، وأحد مؤسسي فروع الزاوية الكتانية بالمدن والقرى.

كما حاضر لعدة سنوات في مدرسة تكوين الأطر بالقنيطرة حول الشريعة.

مواقف الشرف

كانت حياته منذ صغره معركة ضد الاستعمار والظلم، وضد انحراف الأخلاق وانهيار القيم، ونكتفي هنا ببعض مواقف الشرف نذكر منها.

. أنه كون منذ صغره وسنه لا تتعدى تسع سنوات، وحدة أطفال في الحي الذي يسكنه، اتخذت لنفسها شعار المقاومة، وأخذوا يوجهون رسائل تهديد للمتعاونين مع الاستعمار آنذاك، وكان ذلك سنة 1953 أيام الأزمة المغربية

كما حاول أن يشارك في توقيع عرائض الاحتجاج على العمل الشنيع الذي قام به الاستعمار الفرنسي، بنفي رمز السيادة المغربية الملك محمد الخامس، لما جوبه بصغره عن التوقيع، تطوع للعمل على حمل العرائض للعلماء والشخصيات المغربية من أجل توقيعها.

وفي سنة 1975 شارك في المسيرة الخضراء ضمن وفد رابطة العلماء ولم يكن مقامه بالصحراء المغربية عاديا، بل ملأه محاضرات ودروسا وتوجيهات، مما لفت إليه أنظار الجميع وسجلت له هذه المواقف بمداد الفخر في صفحات مسيرتنا الخضراء.

أوسمته وشهادات التقدير

لكل هذا النشاط المتميز منحه جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله وسامين كبيرين اعترافا بفضله وجهاده وإسهامته.

. وسام المسيرة الخضراء.

. وسام العرش.

كما منحه الرئيس جمال عبد الناصر شهادة تقدير وعرفان على نشاطه في الدعوة إلى الله في أثناء إقامته في مصر طالبا ومنحه شيخ مشايخ الطرق الصوفية شهادة تقدير واعتبار على عمله الدؤوب في مجال الصوفية، وتأسيسه للزاوية الكتانية بالقاهرة واعترافها بتبعيتها للمشيخة العامة بالمغرب

رحم الله فضيلة الشيخ الأستاذ الحسن الكتاني، وغفر له وأحسن إليه، وكتبه في الصالحين الصادقين، وأحسن مثواه، وأكرم لقاءه وألحقه بجده المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتقبل منه ورضي عنه وأرضاه آمين.

مواقع النجوم

قال تعالى: " فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"

- الحلقة الخامسة-

العمليات الكيماوية التي تجعل من الشمس جرما مضيئا،

ورد في المرجع الآنف الذكر ما يلي:

(فقط في القرن العشرين، ومع تقدم العلوم الكيميائية والفيزيائية النووية، أمكن التوصل إلى معرفة شيء عن الشمس وأهميتها البالغة بالنسبة للحياة على الأرض وتأثيرها الذي لم يكن يتصوره أحد بهذه الأهمية قبل ذلك.

أما العمليات الكيميائية التي تجعل من الشمس (سراجا وهاجا) فهي في منتهى التعقيد ونبسطها كالتالي:

في القرن العشرين ومن خلال دراسات العلماء" هلمولز" (Helmholz) و " انشتاين" (Einstein) و" إدنغتون" (Eddington) (1920 - ....) و" بث" (Bethe) أمكن القول علميا ان الشمس أتون هائل . تصل الحرارة داخله إلى خمسة عشرة مليون درجة مئوية وفي أطرافها إلى ستة آلاف درجة وهي شبيهة بمعمل حراري يستمد طاقته من تحويل ودمج المادة أي من انصهار نوى (جمع نواة) غاز الهيدروجين وتحولها إلى نوى غاز الهيليوم فالشمس المكونة من 99,9بالمائة من كتلتها من الغاز (75٪ هيدروجين، 24,9هيليوم) يبلغ وزنها ثلاثمائة وثلاث وثلاثين ألف مرة أكثر من الأرض (333,000) أي ألفي مليار مليار طن تقريبا وتصل درجة الضغط في قلبها إلى مائتي مليون طن في السنتمتر المربع.. شمسا هذه تحول في كل ثانية 600 مليون طن تقريبا من غاز الهيدروجين إلى 596 مليون طنا من غاز الهيليوم ومن هذاالتحول تنتج طاقة تبلغ 380 ألف مليار مليار كيلوواط، مما يكفي لحمل مياه المحيطات كلها على الغليان في ثانية واحدة.

...) المرجع السابق ص 79 - 80)

ولادة الشمس ؛

سبقت الإشارة إلى أنه حدث انفجار هائل (Bang bing) في الكتلة التي انبثق منها الكون منذ فترة بعيدة قدرها علماء الفلك بما يناهز 15 مليار سنة وتولد عن هذا الانفجار سحب هائلة من الغاز تبعثر هنا وهناك في الفضاء الفسيح وهذه السحب هي ما يطلق عليه اسم السدم (مفردها سديم) ومع مرور مليارات من السنين تكثفت في وسط سحابة عملاقة الجزئيات البدائية التي تتألف منها (البروتون. النترون. الإلكترون ومضاداتها) وتولد عن ذلك ضغط هائل ارتفعت معه الحرارة في وسط السحابة إلى ملايين الدرجات المائوية وأدت تلك الحرارة المفرطة إلى اتحاد جزئيات المادة فيما بينها فألفت نواة ثم ذرة غاز الهيدروجين وأعقب ذلك التحام أربع ذرات من غاز الهيدروجين فأعطت ذرة من غاز الهيليوم ومن عملية التحول هذه انبثق ضوء الشمس المكون من مادة اسمها الفوتون (Photons)

ضوء الشمس؛

أما ضوء الشمس فيتألف من موجات إشعاعية مرئية هي الأشعة البيضاء المؤلفة من مختلف ألوان قوس قزح (الأحمر . البرتقالي. الأصفر الأخضر. الأزرق. النيلي. البنفسجي) وموجات أشعة غير مرئية كالأشعة تحت الحمراء، والأشعة فوق البنفسجية، والأشعة المجهولة وأشعة غاما وموجات الراديو والموجات الصغيرة.

الفرق بين أشعة الشمس ونور القمر؛

قال تعالى في محكم الذكر:(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) سورة يونس/ الآية:5 نلاحظ أن المولى عز وجل قد وصف أشعة الشمس بالضياء كما وصف أشعة القمر بالنور ذلك أن ضوء الشمس مؤلف كما سبقت الإشارة إليه من أشعة مرئية وغير مرئية في حين أن نور القمر ما هو إلا انعكاس للأشعة المتساقطة على سطحه.

معلومات رقمية عن الشمس والقمر.

الشمس ؛

عمرها : خمسة مليارات سنة بعدها 150مليون كيلومتر عن الأرض و30 ألف سنة ضوئية عن مركز المجرة اللبنية.

شعاعها : 696000كلم. مائة مرة أكبر من شعاع الأرض وأربعمائة مرة أكبر من شعاع القمر)

وزنها: ألف مليون مليار طن أي 330000مرة أكبر من وزن الأرض و 700 مرة أكبر من وزن مجمل الكواكب التابعة لها.

كثافتها : 4.1 غرام في السنتيمتر المربع أي ربع كثافة الأرض حرارتها في مركزها 15 مليون درجة مئوية وفي أطرافها 6000 درجة مئوية سرعتها : بالنسبة للنجوم المجاورة 19,7كلم في الثانية.

انفتاح الخطاب الشعري المغربي على الموضوعة الدينية

■ إعداد الدكتور عبد السلام الطاهري

■ إن الخطاب الشعري المغربي في ارتباطه بالموضوعة الدينية ، كثيرا ما تتخلله تضمينات واقتباسات وأفكار صوفية وسلفية ودينية، كان لها أثرها في الشعر المغربي، حيث طبعته بالروح الاسلامية في نهاية القرن الثامن عشر، وخلال القرن التاسع عشر، لارتباطه بالخطاب السلفي وبالخطاب الصوفي الطرقي ، وبالخطاب الإصلاحي ، وهذا ما دفع منتجيه إلى المساهمة في انبعاث المجتمع وايقاظه وتحريضه على مواجهة الآخر، وفي تكريس الفكر الطرقي ، ومن دون شك فإن الخطاب الشعري في ظل هذه الأجواء يصور واقع المجتمع المغربي حياته ومستقبله ، هويته وشخصيته ، حضارته ومدنيته ، تاريخه ومجده ، حصنه وسلاحه، إنه يؤثر في الوجدان الشعبي، ويبني رباطا وثيقا بين المجتمع والدين على مستوى تحريكه في اتجاه المجتمع:

يدافع عن وطنه ويحارب أعداءه.

يعشق رسوله صلى الله عليه وسلم، ويتوسل به.

يحب شيوخ طرقه وأوليائه.

وعلى مستوى تحفيزه على الجهاد والمقاومة ، والدفاع عن الحضارة والذات الجماعية ، فأصبح الارتباط بالدين ارتباطا وثيقا إلى حد الذوبان والهيام بمرجعيته، كما كان الارتباط بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء بهذا الدين، أشد وثوقا وأقوى آصرة، ومن هنا كان لمحمد صلى الله عليه وسلم مكانه البارز على خارطة الشعر الديني ، حيث يحتل مساحة كبيرة منها ، ويليه في الرتبة الاحتفاء بالشيوخ والأولياء والصالحين . وفي هذا السياق خضع الخطاب الديني في الشعر المغربي إلى سلطة الوعي التراثي الديني عند الشاعر الذي كان يستند إلى الموروث الديني والتاريخي والأدبي والصوفي، ويستمد منه مادته الشعرية ، ويعبر من خلالها عن جوانب من تجاربه، وبذلك تحرك خطابه الشعري في حمى الخطاب الديني، على اعتبار أن خطابه يجمع بين الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر، ولكنهما ينصهران في خطاب يلتزم فيه منتج القول الشعري عموما بالتضمين والاقتباس والنقل الحرفي ، المطابق للخطاب الأصل ، من الكتاب أو السنة أو الأقوال المأثورة أو المرويات وحين يقتطعها المتكلم من أصلها الديني ومن سياقها الأصلي ، يدخلها في علاقة حوارية جديدة وفي سياق جديد ، سرعان ما يضفي عليها دلالة جديدة مغايرة ، فإن أدخل الشاعر في كلامه كلام غيره ، يخلع عليه لا محالة شيئا من صوته، يخضع لمستويات عديدة من الاستلاب والامتلاك ، لأنه عندما يذكر كلمات شخص آخر في خطاب مباشر، فإن هذا يفترض أنه يعطي الكلمة بشكل كامل، مما يتطلب إعادة تصوير السياق الذي جرى فيه القول بطريقة لا يمكن الوفاء بها مطلقا ، فمنتج القول الشعري الديني إذن لا يستطيع أن يتبخر نهائيا ويلغي وجوده وموقفه ليضع مكانه خطاب غيره بحذافره، وهذا يعني أن الذات المنتجة تبقى حاضرة رغم توظيفه من تضمينات واقتباسات، تعود إلى الذات الالهية، أو الانسانية للاتكاء على سلطتها ومهابتها، وأحيانا أخرى فإن هذا الخطاب يراد به مجرد توصيف المتكلم المذكور بدون التعبير عن أي حكم قيمة صريح عنه أو عن كلماته ، ومع ذلك فاستخدام الشاعر لصيغة القول أو الخطاب المباشر لنقل القول الديني، يمكن أن يتم لإضفاء مسحة دينية، ولا تثريب على الشاعر مادام يحافظ على حريته في الابداع وإنتاج أشكال التمثل ومحصلاته، إذ صار وعيه الشعري مشدودا إلى الأصول ، وإلى المقدس، باعتبارهما إطارا لبنية معجمية شاسعة يتحرك في فضائها، ويقترض منها ما يخدم توجهه الديني، سواء عن طريق التضمين أو الاقتباس أو التأثر ، والالتجاء إلى الدين يعتبر ضرورة اجتماعية ونفسية ، لأنه ينظم حياة الناس ويربط علاقاتهم بروابط متينة ومن ثم فإن أي توجيه أو اصلاح إذا انطلق منه، يكون له تأثير على نفسية المتلقي من حيث ترسيخ إيمان الفرد، وتعميق حبه لدينه ووطنه، والاستماتة في سبيلهما، وعلى هذا الأساس فإن جدلية العلاقة بين الخطاب الديني والمتلقي له ترتكز على الأثر الذي يحدثه ، وعلى مدى استيعابه وفهم لغته وإدراك أسرارها وبنياتها الأساسية ومكوناتها صرفا واشتقاقا ودلالة ، للوصول إلى مقاصد هذا الخطاب، خاصة إذا خرج عن سياقه الطبيعي إلى سياق جديد في مجال القول الشعري ، فيصير هذا الخطاب مطبوعا بطابع الأدبية شكليا، حيث يوظف الشاعر المعجم الديني لغاية فنية وشعرية وكأنه يسوقها بمثابة رداء يلف به جسد القصيدة، سواء في شعر الجهاد، أو الشعر المولدي أو الولوي، وبذلك يخضع لشبكة من العلاقات التي يتحكم فيها المعجم الديني ، للتأكيد على ما يبثه في خطابه، مستغلا آيات أو أحاديث نبوية أو أقوال مأثورة أو مرويات عن شيوخ الطرق والأولياء من خلال توظيف الخطاب غير المباشر لتأسيس قول شعري متميز يستمد شرعيته مما يطرحه في موضوع خطابه ، ومن مدى ارتباطه بهذه المرجعية.

ويمكن القول إن الخطاب الشعري الذي يتوالد من رحم هذه المرجعية ، ويتغذى من حقولها ، ويتشابك بشكل حميمي ، مع الخطاب السلفي والخطاب الطرقي والخطاب الوطني ، ينسج عالمه الشعري في ظل الثقافة الدينية ، وهذا يعني أن الكتابة الشعرية رغم استقلال خطابها ، فهي تشترك مع الخطابات السابقة الذكر في البنية المعجمية ، وفي الصيغ والأساليب التي تنتهي مرجعيتها إلى الحقول الدينية، فالتداخل يقع كثيرا بين أنواع الخطابات بفعل التناص والانزياح ، وبفعل العودة إلى المادة المعجمية الراسخة بفعل الحفظ والتذكر والرغبة في توظيفها، وإن كانت تختلف في مقصديتها وفي طريقة صياغتها وسياقها الجديد ، وللتمييز بين هذه الأنواع هو تغليب القياس، والركون إلى العناصر الأربعة التي تحدد كل كتابة منتمية إلى جنس أدبي أو غرض معين، وهي كما يلخصها د . محمد مفتاح: « الغرض المتحدث عنه ، والمعجم التقني، وكيفية استعماله ، والمقصدية، وهذه جميعا تكون وحدة غير قابلة للتجزئة».

وأن الشاعر إذا تناول بعض الأغراض والقضايا في مجال الجهاد أو ذكرى المولد النبوي، أو مدح الأولياء والصالحين، ولم يسخر المعجم التقني المناسب للغرض أو القضية أو الموضوع المتحدث عنه ، في سياق خطابه ، فإن شعره لا يمكن أن ينعت بالخطاب الديني، ما دام هذا الخطاب لا تتجلى ملامحه الدينية، ولهذا نجد فرقا بين الكتابة الفقهية والصوفية والوعظية، وبين الخطاب الشعري الذي يأخذ منها ما يراه مناسبا لتدعيم شعريته ، ولهذا فهي مع تناولها لبعض الأغراض المشتركة بينها وبين الخطاب ، تبقى متميزة عن الخطاب الديني في الشعر مادامت الأركان الأربعة السالفة الذكر لا تتوفر فيها، وبالتالي لا تسمح لها لكي تنتمي إلى الكتابة الشعرية والكتابة " صناعة من الصنائع الأكثر إفادة، وهي شريفة لأنها من خواص الانسان التي تميز بها عن الحيوان. وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتنادى بها الأغراض، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين ، وما كتبوه من علومهم وأخبارهم ، فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع".

والملاحظ أن مفهومها يتحدد تبعا لطبيعة وظيفتها ونوع مضمونها وشرف الكتابة بشرف وظيفتها البلاغية والتحصيلية والتوصلية ، والكتابة الشعرية في علاقتها بالمرجعية الدينية تحقق هذا الشرف ، مادام نصها الغائب مشرفا ومقدسا في العقلية المغربية ، سواء ارتبط بما هو أصولي أو طرقي ، لذلك يعتبر الخطاب الديني في الشعر المغربي ذا أهميته على مستوى الإحالة على خطاب سابق ، كما يعد وسيلة هامة ، ومقولة مساعدة على تعيين مختلف " السجلات " في صلب اللغة ، وبالتالي نكون إزاء خطابين متنوعين : الأول خطاب أحادي القيمة لا يستحضر أساليب في القول سابقة ، والثاني خطاب متعدد القيم، هو الذي يستخدم بشكل صريح نسبيا تلك الأساليب السابقة والقوالب الجاهزة." فكلمات الخطاب المتعدد القيم تحيل على وجهين اثنين ، وتجريده من هذه القيمة أو تلك يعني أننا لم نفهمه " ، والشاعر المغربي المتأثر بالمرجعية الدينية قد نما وترعرع في مجتمع إسلامي مليء بالروحانيات والطقوس الدينية، فبحث في خصمها عن طريق قوله الشعري، واستعار كلمات تسكنها أصوات أخرى ، وهو يتلقاها مترعة بصوت الدين ، فتسكن خطابه الشعري وتفرض نمطها من استعمال الكلمات أو الصور أو في بناء المعنى، الذي يعطي للنص الجديد سمة ذاتية في تمييز نوع السجلات اللفظية ، رغم تفاوتها في الكثافة والعمق وفي التأثير والإقناع.

والخطاب الديني في الشعر المغربي تبعا للمعطى السابق ، يتميز بخصائص بنيوية ووظيفية تميزه عن غيره من الخطابات ، ذلك أنه يخاطب في المرء إحساسه الديني ، وإيمانه الراسخ ، وبالتالي فهو ينهض على إثارة العاطفة الدينية ، وإعادة " ما كان " ويقيم الصلة الدائمة مع الواقعي والروحي من خلال تصور الشاعر لا الفقيه، ولكنه يرتبط بدينه ووطنه ، ويميل إلى ترسيخ حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وإلى تقديس الأولياء والصالحين ، والتبرك بمزاراتهم والتعلق بهم ، لتجاوز ما يكدر صفوه أو يخيفه أو يهدد هويته الاسلامية والوطنية ، بحيث يؤكد هذا الخطاب على ضرورة ربط الماضي بالحاضر واتباع السلف الصالح، مادام عالم الدين يضم الحقيقة المطلقة، والمعرفة الربانية، وهذا ما جعل الشاعر يستحضر خطابات قديمة ثابتة، ليستفيد منها في بناء خطابه الشعري الذي يرتكز على موضوعات جوهرية ، تستمد فاعليتها من أطروحة : الدين ، الوطن المقدس، انطلاقا من الدفاع عن الإسلام والمسلمين ومواجهة الهيمنة الغربية ، والتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالأولياء الصالحين.

إن شعر هذه الفترة يزخر بشعر الجهاد والدعوة إلى الورع والزهد ، وبعدد هائل من متون الأمداح النبوية والإلهية ، وبشعر التوسل بالشرفاء والأولياء ورجال الصلاح ، وقد حدد الخطاب الديني في الشعر المغربي لنفسه مجال نشاطه، في حقول تعبق بالروح الاسلامية، وتسمح لمنتجيه بتمثل وجوده الذاتي موصولا بالوجود الالهي، ومرتبطا بفضاء الوطن والدين، في إطار التزام ديني مفتوح على الدنيوي والأخروي، على اعتبارأن الشعر الاسلامي له بنية ديناميكية تتغير خلال عملية التاريخ ، فليست مطلقة كل الاطلاق وليست نسبية كل النسبية ، فالمطلق يحقق ضمن النسبي، والعكس حاصل، والكتابة الشعرية في هذا المستوى تتميز بمرجعية دينية تستند إلى النص الإلهي في مطلقيته، وأخرى تستند إلى معرفة إنسانية نسبية ترتبط بالفكر الطرقي والسلفي ، وهي عموما تكتسي رحابة نصية ، يلعب التناص دوره في الأخذ والاستفادة منها، وفي صياغة تعابير وأشكال قد تستوعبها الذات المنتجة للخطاب الشعري ، وتتعامل معها من زاوية تنحاز إلى النص العقدي، وتستحضر منه ما يفيدها في إغناء مضامين شعرها، وفي طريقة التعبير عنها باعتباره خطابا دينيا يحيا في ذواتنا ، في شعورنا ، وإيماننا بضرورة استمرار مفعوله.

السلب والإيجاب في ظاهرة الاختصار عند المالكية

■ إعداد الأستاذ: الطيب لمنوار

■ لقد باتت الأمة الإسلامية أنوار الفضيلة ، وتتمتع في ظل العدالة ، منذ أن كان الفقه الإسلامي قانونا محكما يلجأ إليه في كل مسألة ويفزع إليه في كل معضلة ، فعم به العدل وانتشر الأمن وسادت الطمأنينة في نفوس المسلمين حكاما ومحكومين. ولما ضعف الوازع الديني في القلوب ، وتقاعست الهمم عن المنهج الرباني عقيدة وسلوكا ، مجاهدة وجهادا، بدات ارهاصات الضعف والهوان تترسب إلى كيان الأمة ، إلى أن مست معالم الانحطاط مختلف مجالات الحياة ، فكانت المصيبة العظمى ، والطامة الكبرى التي لا يزال العالم الإسلامي إلى اليوم يذوق مرارتها ويؤدي ضريبتها.

فبينما كان الفقه في عهوده الأولى مرجعا للنوازل ، ومصدرا للأحكام ،كان الفقيه ساعتئذ ملزما بمسايرة الاحداث ، ومدفوعا لمواكبة المستجدات ، ومرغما على إيجاد الحلول وفك المعضلات . ولما أريد للامة الاسلامية ان تبتعد عن دينها وفرض عليها تشريع دخيل عليها صار الفقيه لا يلام على الاجتهاد كما أصبح الفقه لا يواخذ على عدم مسايرته لمختلف مجريات الحياة.

ونحن اليوم، إذ نشم تباشير أوبة الانسانية إلى شريعة الله، ونقرأ ونسمع عن رسالة الاسلام والمسلمين ، علماء وعوام في المستقبل القريب ، كان لزاما على كل من في قلبه رائحة إيمان ، وفي ذهنه باردة عطاء ، أن يتسلح بسلاح العزم والإرادة ، ويتحلى بجدية العالم الأصيل ، واخلاق المفكر النبيل من أجل انجاح مسيرة الاصلاح التي يقودها اقطاب الفكر الاسلامي وصلحاء الحضارة المعاصرة، ومباركة مجهوداتهم الميمونة في مجال تقنين الفقه الاسلامي والدعوة إلى تحكيمه والعمل به. غير أن هذا الهدف لا يتيسر الوصول إليه، ولا يضمن نجاحه ، إلا بالرجوع بالفقه إلى أصوله الأولى وينابيعه الصافية عملا بالنص المأثور«لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» . وفي غمار هذه الفكرة وإيمانا بها يأتي الحديث عن ظاهرة الاختصار في الفقه المالكي ، هذا الفقه الذي احبه المغاربة فاختلط بدمائهم حتى صار جزءا من كيانهم وهويتهم ، ويكفي دليلا على ذلك ما تحظى به مؤلفاته عندهم من عناية بالغة واهمية فائقة وخاصة مختصر الشيخ خليل الذي يعد برنامجا جامعا وموسوعة فقهية ، فهو كشكول يضم مختلف الأحكام والمسائل ويجمع معظم الاختيارات والترجيحات في فقه الفروع ، فهو يعتمد بالدرجة الأولى اختيارات أبي الحسن اللخمي المتوفى سنة 478هـ واجتهادات ابن رشد المتوفى سنة 520هـ وترجيحات ابن يونس المتوفى سنة 451هـ واقوال المازري المتوفى سنة 536هـ . ونظرا لما لهذا المختصر من أهمية في الدراسات الفقهية فإنني سأرجيء الكلام عنه بعد التعريف بالاختصار الفقهي والحديث عن كيفية ظهوره في الفقه المالكي.

وعليه فالاختصار عند الفقهاء هو« إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى أو إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ». وقد بدأ ظهوره في المذهب المالكي في مطلع القرن الثالث الهجري ، ثم اخذ ينمو ويتطور إلى أن بلغ أوجه في القرن الثامن الهجري. وترجع أسباب ظهوره إلى تقاعس طلبة العلم عن تحصيل المطولات وقصور الفقهاء عن الابتكار والابداع ، فجنحوا لاختصار ما كتبه السابقون جنوحا لا يأبه بالفهم الدقيق للمسائل ولا يقوم على الاستيعاب الجيد لمضامين التراث ومحتواه ، فجعلوا من الفقه ألغازا يستحيل على المبتدئ ادراكها ويستعصي على العالم فهمها فخمل بذلك الفكر وجمد الفقه.

ولعل أول من لجأ إلى اختصار بعض المصنفات الفقهية في المذهب هو الفقيه فضل بن سلمة الجهني الأندلسي المتوفى سنة 319 ، حيث اختصر مدونة الإمام مالك؛ برواية سحنون ، وكتاب الموازية لمحمد بن المواز المتوفى سنة 269. وكتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة 238هـ ، ثم جاء بعده الفقيه محمد بن عبد المالك بن عيشون الطليطلي المتوفي سنة 341هـ فاختصر المدونة ، ثم اختصرها من بعدها الفقيه محمد بن عبد الملك الخولاني البلنسي المتوفى سنة 364هـ ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين المتوفى سنة 399هـ . ثم الفقيه ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386هـ فالفقيه أبو القاسم اللبيدي المتوفى سنة 440 هـ . وأبو سعيد خلف بن القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي الذي كان حيا سنة 373هـ وبينما الأمر على ما هو عليه من الاختصار البسيط المتعلق المدونة ظهر الفقيه أبو عمرو عثمان بن الحاجب المتوفى سنة 646 الذي حول الاختصار من مرحلة الاختصار البسيط النمتعلق بالمدونة.

كأصل من أصول كتب المذهب وأم من أمهاتها إلى مرحلة الاختصار الشبه المعقد المتعلق باختصار المختصر ، حيث اختصر رحمه الله مختصر البرادعي المسمى بالتهذيب.

هذا مع أن الاختصار سيعرف شكلا آخر أكثر تعقيدا في مرحلته الثالثة التي هي مرحلة الاختصار المعقد المتعلق باختصار مختصر المختصر، هذه المرحلة التي ازدهرت مع ظهور الشيخ خليل بن اسحاق الجندي الذي اختصر مختصر ابن الحاجب السابق.

وفي الحقيقة فبالرغم مما قيل عن الاختصار من عيوب وما كتب عليه من مؤاخذات التي لا يسمح المقام لذكرها ، فإن جوانبه الإيجابية لا يمكن انكارها وغض الطرف عنها في أي حال من الأحوال، ويكفي للاشادة به ما كتبه الفقهاء المحققون عن كتاب مختصر الشيخ خليل هذل الكتاب الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.

فالكتاب الذي سبقت الإشارة إليه هو اختصار لكتاب ابن الحاجب المتوفى سنة 646هـ الذي هو اختصار لكتاب التهذيب السابق الذكر، جمع فيه الشيخ خليل ما في كتب المذهب من الفروع واستقصاء المسائل ، وقد عد بعض المحققين مسائله فأوصلها إلى مائتي ألف مسألة بما فيها المنطوق والمفهوم . قال فيه ابن حجر العسقلاني « هو مختصر مفيد» وقال الحطاب « هو كتاب صغر حجمه وكثر علمه وجمع فأوعى وفاق أضرابه جنسا ونوعا واختص بتبيان مابه الفتوى ومابه الأرجح والأقوى، ولم تسمع قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله إلا أنه لفرط الإيجاز كاد يعد من جملة الألغاز».

وذكر ابن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842هـ أن مختصر خليل إنما لخص منه في حياته إلى النكاح وباقية وجد في تركته في أوراق مسودة ، فجمعه أصحابه وضموه لما لخص ، فكمل الكتاب .. أجاد فيه كل الإجادة واكسب الناس على فهمه وحفظه».

وقد عني به الفقهاء حفظا ودراسة وافتاء إلى درجة ان بعضهم كان يقول حيث عروض كلام خليل بكلام غيره« نحن خليليون ان ضل ضللنا، ناهيك عما كتب عليه من شروح وتعليقات نثرا ونظما قديما وحديثا والتي تناهز الألفين تقريبا، ويوجد جلها مخطوطا في الخزانات الخاصة في الأقاليم المغربية الصحراوية ، فقد صرح الأستاذ الجيلاني لعبدا السالمي ان خزانته بمدينة الداخلة تحتوي على ما يربو على مائة تأليف « جميعها بخط اليد ولم يطبع منها شيء » كما سرد شروحا عديدة للمختصر الخليلي في بحث قيم شارك به في ندوة الإمام مالك علم 1980 تحت عنوان « خدمة المذهب المالكي في الصحراء المغربية» .

وهكذا فالاهتمام بالتراث الفقهي والرجوع بالفقه إلى أصوله الأولى لا يقتضي بالضرورة تقديس النصوص الفقهية والإشادة بمؤلفات الأقدمين والاعتكاف على شرحها ودراستها، فهذا عمل قد يسيء بلا شك إلى تراثنا المجيد وفكرنا الأصيل ، كما ان الاعتراض عن التراث الفقهي وعدم المبالاة به امر قد يعمق أزمة الفقه ويعرقل مسيرة الاجتهاد ، فالفقيه الذي لا يعرف من أمهات الفقه إلا أسماءها ولا من الاحكام إلا أبوابها لا يعول عليه في خدمة الشريعة وحمايتها ، ولا يؤمن من التجرؤ على اجتهادات قد تصيب المذاهب الفقهية في مبادئها وأصولها مما يوقع الأمة في الحرج الذي تسعى الشريعة إلى رفعه أو في الفساد الذي جاءت الشريعة لدفعه.

فإحياء التراث الفقهي عموما، والنهوض بالفقه المالكي خصوصا، يستوجب حتما استثمار منهج النقد في التعامل مع النص الفقهي إذ لاشيء ينعش الفقه أكثر من نقد الفقه ، فبالنقد تتم ملكة الاستنباط وبه تنمو المعرفة وتسمو.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1049
السنة 36
الجمعة 9 ذو القعدة 1424 هـ
الموافق 2 يناير 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

اعتناء المغاربة بالحديث

■ لم يكن بالمغرب الإسلامي دور الحديث بالكيفية المعروفة في المشرق، وإن كان اهتمامه بالحديث معروفا في جميع أطواره، ومشهورا في عصور تاريخه، اللهم إلا ما كان من دار الحديث الحسنية التي أنشئت أخيرا في مدينة الرباط.

ولعل ذلك راجع إلى المنافسة المشهورة، والسائدة بين المغاربة والمشارقة منذ القديم وإن شئت قلت المعاكسة التي تجلى أثرها في مختلف الميادين، الشيء الذي جعلهم يهتمون بالحديث ودراسته، دون أن يطلقوا على مؤسساته إسم دور الحديث الذي يطلق على مؤسساته في المشرق.

والعلماء المغاربة السباقون إلى المكرمات، كانوا دائما منذ القديم من أكثر الناس طلبا للحديث وبحثا عن رجاله، فقد تحملوا مشاق الرحلة، واستسهلوا صعاب الغربة، وذرعوا الأرض بأقدامهم في سبيل أخذ الحديث وعلومه، والإحراز على الأسانيد العالية من رجالاتها، والكرع من مناهلها، خدمة منهم لهذا الدين الإسلامي وشريعته الخالدة.

فكما ربط يحيى بن يحيى الليثي المصمودي المغرب بالمشرق بسلسلة من الذهب كما يقولون أخذ عن الإمام مالك بن أنس كتابه (الوطأ) الذي يعتبر الأصل الأول في الحديث، والمنشور في الآفاق، بروايته المفضلة، وسنده الذي يعتبر عند المحدثين أصح الأسانيد، فإن الأصل الثاني صحيح البخاري، منتشر كذلك بين الناس برواية عبد الله بن إبراهيم الأصيلي التي نالت إعجاب وتقدير المحدثين في كل مكان.

ولا يقل عن اهتمام المغاربة بهذين الأصلين السابقين اهتمامهم بكتب الحديث الأخرى، ومصنفاته المثلى، فقد عرف الإقبال الكثير على الأصل الثالث. صحيح مسلم. والاعتناء المتزايد ببقية كتب الحديث على اختلافها وتنوعها إحاطة منهم بمصادر الهدي النبوي، وحفاظا منهم على تعاليمه، ومدارسة أمهاته، وإقبالا منهم على حفظ متونه وأسانيده حتى لاتذهب الرواية، وينقطع السند، وينمحي أثر العلم بموت أهله.

ونقصد بالغرب الإسلامي أقطار الأندلس، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريطانيا ، والصحراء الإفريقية المسلمة، وغيرها من الأقطار التي استقر فيها الحكم الإسلامي أو عرفته في بعض الفترات من تاريخها مثل صقلية وجنوب إيطاليا، فلم نعثر في كل هذه الأقطار على مؤسسات للحديث من الطراز المعروف في الشرق رغم ماعرف في غالب هذه الأقطار من جهاد متواصل في سبيل نشر السنة، ورفع رايتها خفاقة بين الأنام ومن تخريج أفذاذ العلماء والمحدثين للذين تتلمذ لهم كبار المحدثين في بلاد المشرق مثل أبي الخطاب عمر بن دحية، وأخيه أبي عمرو وعثمان بن عبد الملك القصري، وأبي مروان الباجي، وأبي البركات الكمال المكناسي، وتقي الدين الفاسي، وابن شقر السلاوي وابن خلدون وغيرهم.

فمنذ القديم احتضنت بلاد الأندلس فطاحل العلماء والمحدثين، واشتهرت بخدمة السنة ونشر الحديث فتوجهت إليها الأنظار، وأصبحت كعبة القصاد تشد إليها الرحال لرواية الحديث، وأخذ العلوم المختلفة من علمائها الأماجد وحفاظها المبرزين، ويكفيها فخرا أن تنجب بخاري المغرب أبا عمر بن عبد البر الذي يعتبر بحق علما بين المجتهدين ومفخرة من مفاخر المغرب بين المحدثين فهو لم يغادر بلاده قط، وإنما تنقل في أرجائها واستفاد من فطاحلها حتى كان أعجوبة الزمان، ومنارا يهتدي به في كل مكان.

وإلقاء نظرة أولى حول شيوخ ابن عبد البر وحده يدلك على أنها تزخر بالمحدثين ورجال العلم والصلاح، عبر القرون، ففي القرن الرابع مثلا، وهو قرن شيوخه نجد هناك من المحدثين مايؤكد على أن بلاد

دور الحديث بالمغرب

1/3

■ إعداد الأستاذ: الحسين وجاج

الأندلس تطاول مصر وبغداد ودمشق وأصبهان ونيسابور في خدمة الحديث الشريف ونشر الوعي الإسلامي في النفوس.

وما أكثر الحفاظ الموجودين في الأندلس قبل ابن عبد البر وبعده، فهم منتشرون في مختلف مراكزها العلمية مثل قرطبة، وبلنسية وإشبيلية وغرناطة، وميورقة، ومرسية ومالقة وغيرها من مدنها الزاخرة بالجمال. والطافحة بالإيمان، والحافلة بالعلم والعرفان.

ومن حفاظها سعد الخير بن محمد بن شهل بن سعد الأنصاري الذي روى عنه الأجلة العظام مثل الحافظ الكبير أبي القاسم ابن عساكر، مؤلف تاريخ دمشق وأول شيخ لدار الحديث النورية، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن خلف الأنصاري المعروف بابن الفخار والذي طلبه السلطان يعقوب المنصور ليستمع منه بمراكش فمات بها سنة590هـ وأبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة، صاحب الرواية المعتمدة والمفضلة لدى المغاربة، وأبي عمر بن عات الممتحن في الحديث ببيت الطلبة بمراكش وابن دحية الكلبي وابن سراقة الشاطبي، وابن سيد الناس الأشبيلي الذين هم من شيوخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة وغيرهم من الحفاظ الأعلام والمجتهدين الكبار الذين رفعوا راية العلم في الأندلس خاصة، والعالم الإسلامي عامة عالية شامخة العرنين.

أما القطر الليبي والتونسي، فقد عرفا مثل الأقطار الإسلامية الأخرى بخدمة الحديث الشريف والاهتمام بنشره، والاهتمام بشؤونه حتى إن بعض المؤرخين ذكروا أن لأهل إفريقيا اعتناء كبيرا بالبخاري، وأن لهم أماكن معلومة، في أيام معدودة لختمه، وإنهم يخصصون له يوما معلوما في مسجد معلوم، وعند شيخ معلوم، فيهرعون إليه ويوقدون الشموع ويسرجون القناديل، ويبخرون المكان بأنواع الطيب، ويظهرون من آيات التعظيم والإجلال الشيء الكثير، حتى أنهم يشتغلون بذلك عن جميع أشغالهم ويقبلون عليه لكليتهم ويغلقون حوانيتهم، ويشعرون العموم بواسطة المنادي بوقته ومكانه ويومه، فيتسارع الجميع من رجال ونساء وصبيان إلى الحضور في حفله الذي يعتبر أعز شيء عندهم في الوجود.

وقد قامت القيروان منذ القديم بدور كبير في خدمة الحديث ونشره بين طلاب العلم من أبنائها، ومن النازحين إليها من مختلف الأقطار وكانت مساجدها ونواديها العلمية لاتقل أهمية عن مساجد بغداد والكوفة، والبصرة، ومصر وغيرها من المدن الإسلامية المعروفة بالعلم والعرفان.

وكل ذلك بفضل الدور الذي قام به الرواد الأوائل أمثال أسد بن الفرات، وسحنون وغيرهما من أمثال عبد الرحمان ابن زياد وعبد الله بن غانم وابن فروخ، وغيرهم من الذين تحملوا مشاق السفر وأتعاب الرحلة إلى الحجاز والعراق ومصر في سبيل راية الحديث، وأخذ العلوم المختلفة من أصحابها صحيحة سليمة، ثم نقلها وبثها بين الشباب الإفريقي في المغرب حتى لايتخلف عن إخوانه الآخرين في المشرق.

وبروح القيروان طبعت أقطار المغرب كلها في خدمتها للحديث ونشرها للسنة سواء في مساجدها الجامعة أو زواياها المنبثة في كل مكان، وخاصة جامع الزيتونة، وجامع القرويين وغيرهما من المساجد المشهورة بالحديث، والحافل تاريخها بجلائل الأعمال في هذا الميدان. ولتحقيق رسالتها عمل جميع المحدثين في أقطار المغرب الكبير على اختلاف أعصارهم ورسائلهم حتى ظهر هناك محدثون نبغاء في القرون الأخيرة أمثال أبي العباس المقري وأبي محمد عبد الله ابن علي بن طاهر العلوي وعبد الكريم الفقون القسمنطيني، وأبي مهدى عيسى الثعالبي، ويحيى الشاوي، وأبي سالم العياشي، وأبي عبد الله ابن ناصر الدرعي وابن سليمان الروداني، وابن المرابط الدلائي، وعبد المالك التجموعتي وغيرهم من الذين ربطوا المشرق بالمغرب، وخلدوا لنفسهم ولبلادهم الذكر الجميل والثناء العاطر.

وعلى منهاجها سار جميع المحدثين والمصلحين من أبناء المغرب مقتفين أثر سلفهم الصالح فعمروا المساجد والمدارس والزوايا بحلق الطلبة لمدارسة كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح كل مسجد وكل زاوية في بوادي المغرب وحواضره بمثابة دار الحديث.

فقد اقتصرت الأندلس وأقطار المغرب في نشر الحديث على المساجد التي تعتبر المعاهد الأولى للعلم في أنحاء العالم الإسلامي، وعلى بعض الزوايا الخاصة المعروفة بحركتها المباركة في هذا الميدان بالإضافة إلى الجهود التي بذلها ويبذلها العلماء وأولو الأمر باستمرار لخدمة الحديث الشريف ونشره بين الناس.

ولعلني أصادف الصواب إذا اقتصرت في بحثي هذا عن دور الحديث في المغرب على ماقام به المغرب الأقصى في هذا الميدان لما له من سيطرة سياسية على بقية الأقطار الأخرى خلال الفترات والقرون التي ظهرت فيها فكرة دور الحديث في أقطار المشرق على وجه العموم لهذا ارتأيت أن أكتفي بدراسة عصور تاريخه بكيفية مختصره محاولا التعرف على ماقام به علماؤه وملوكه من أعمال، ومابذلوه من تضحيات وتحملوه من رحلات، في سبيل حفظ الحديث والدفاع عنه وإيصاله إلى الناس في هذا القطر البعيد عن دار السنة الأولى . بالمدينة المنورة . خاليا من شوائب الخطأ وأغلاط التحريف.

(يتبع)

مجلة الاعتصام

العدد:9السنة 9